

روايات مصرجة للحيث



56

# أسطورة ملك الذباب

تأليف الطيعة



د. أحمد غنم الدوفوق



ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس  
من شرما القموض والرعب والإثارة

## روايات مصرية للجيب

### أسطورة ملك الذباب

متوجسان لكنهما  
يمضيان بلا تفكير كأنهما في  
مأساة إغريقية ، يدنو الجنديان  
التعسان من الجسد الذي لا تظهر معالمه  
من كل ما احتشد عليه من ذباب ..  
بأيديهما الخشنة ينفضان الذباب عن ذلك  
الجسد ليتبيننا من هو .. أو ما هو ..  
هنا فقط دوت الصرخات ..  
هنا فقط عرفنا ما كان تحت كل هذه  
الأسراب ...



د. أحمد خالد توفيق



طباعة ونشر  
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع  
٢٨٦١٩٧ - ٥٨٠٨٥٥ - ٥  
فانكس ٠٠٢٠٠٠٠٠

العدد القادم :  
أسطورة المقبرة

التمن في مصر  
وما يعادله بالدولار الأمريكي  
في سائر الدول العربية والعالم

**56**

**روايات مصرية للجيب**

**ماورا، الطبيعة**

**أسطورة ملك الذباب**

## روايات مصرية للجيب

### ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس  
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة  
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس  
أو النقل عن أية قصص أوربية .

بريشة

الأستاذ/إسماعيل دياب

إشراف

الأستاذ/حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناشر  
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف  
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض  
المرتكب للمساءلة القانونية .

---

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية  
بالعباسية - منالذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صلى الفجالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى  
مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع

56

ماورا، الطبيعة  
روايات تحبس الأنفاس  
من فرط القموض والرعب والإثارة

# أسطورة ملك الذباب

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٠١١٩٧ - ٢٨٣٥٥٥٥ - ٥٤٠٨٤٥٠

فاكس : ٢٨٣٧٠٠٤



# مقدمة

هناك دائماً الأمل فى أن نبقى أحياء حتى الصباح ..

إن الباب موصد ومفتاحه ليس معنا .. هذا صحيح ..

رائحة الكبريت تنتشر ، ومن يعرف كتب القرون

الوسطى يعرف ما معنى رائحة الكبريت حين تأتى

من دون كبريت .. أوافق على هذا ..

هذا الضوء الأخضر المريب من تحت الباب .. إنه

مقلق .. هذا حق ..

صوت الحفيف .. أم هو الفحيح ؟ لا يريح النفس

كثيراً .. أعترف بهذا ..

إن (ليليث) تتحرك بالخارج .. أنا أعرف هذا

وأنتم تعرفونه .. وتعرفون من هى (ليليث) لو كان

فى عروقتكم دم لم تمتصه بعد ..

لكننا ما زلنا أحياء .. ما زلنا نتنفس ..

لا أرى ما يمنعنا من أن نرى ضوء يوم جديد ،  
فهذا الموقف ليس أسوأ مما مر بنا ..

كيف ينتهى هذا الموقف ؟ كيف نخرج من هذه  
الورطة ؟ لا أدري طبعاً ..

تعالوا من حولى .. قربوا الرعوس .. أصغوا لى ..  
اليوم أحكى لكم عن ملك الذباب ..

كلا .. لست بصدد سرقة أو اقتباس أو استيحاء  
رائعة (وليام جولدنج) التى نال عنها جائزة  
(نوبل) .. الرواية التى تحمل اسم (إله الذباب) ،  
والتي تحكى عن مجموعة من الصبية على جزيرة  
مهجورة ، يحاولون أن يبدعوا مجتمعاً ..

إن قصة اليوم لا علاقة لها بهذا الموضوع .. لكن  
لا توجد طريقة أخرى لوصف ملك ذباب إلا بأنه  
(ملك الذباب) ..

مرعبة ؟ ربما .. إنها تخيفنى شخصياً وأكره أن



أتذكرها .. لكنى مضطر لذلك الآن .. فقط كى أمارس  
عملية انتقال الخبرات التى هى وقود التطور الأهم ..  
وربما هى مبرر وجود الشيوخ أصلاً ..

مرعبة ؟ حتى لو كانت مربعة فلن تتفوق على  
(ليليث ) التى تجول فى الخارج ، محاولة أن تقتحم  
الغرفة علينا ..

مرعبة ؟ لو كانت مربعة أكون قد قدمت لمن  
يهوون الرعب ما يريدون .. وإن لم تكن فعلى الأقل  
قد رفعت عنكم حتى تأتى ساعات النهار ..

هذه القصة - إذن - هى نوع من التسلية كى  
تنسوا ذلك الشيء الذى ينتظر على ناحية الباب  
الأخرى والذى قد يدخل فى أية لحظة ..

عندها يعلم الله وحده كيف سنكون ...

★ ★ ★

## 1 - بعد منتصف الليل ..

---

- « لا يوجد ما نفعه إلا أن ننتظر .. »

قلت له وأنا أرشف القهوة التي طلبها لى :

- « غريب أنت يا أخ ( شريف ) .. »

قال رافعاً حاجب التهكم الأيسر :

- « هل ستكرر نفس ما تقوله فى كل مرة ، عن

أننى جدير بالدراسة ككائن غريب ؟ عن أننى لامع

نظيف جدير بأن أوضع فى كتب القراءة القديمة ،

التي تتحدث عن الطالب المثالى ؟ »

- « ليس هذا ما أعنيه الآن وإن لم أتنازل عنه ..

وإنما عنيت أنك تقدم برنامجاً على الهواء ، يعتمد

على مكالمات المستمعين الهاتفية ، وبرغم هذا أنت

تقامر .. فعلاً تقامر .. ماذا لو بدأت الحلقة وانتهت

من دون أن يتصل أحد ؟ لقد مرت عشر دقائق من  
دون أن يرن جرس الهاتف .. »

قال ( شريف ) وهو ينظر فى ساعته بقلق ، وينظر  
إلى مهندس الصوت :

- « ماذا تريد ؟ هل تريد أن ألقى متكلمين مزيفين  
كما يفعل الجميع ؟ »

بالطبع لم تكن هذه المكالمة مسموعة ، لأن  
مهندس الصوت كان يقوم بإذاعة عدد لا ينتهى من  
أغانى ( عبد الحليم حافظ ) القصيرة المرححة ليضيع  
الوقت .. وهذا طبعًا بعدما قال ( شريف ) المقدمة  
المملة المعهودة عن « حكاياتكم التى ستكون وقودًا  
لآلة الرعب كى تتحرك » ..

كانت هذه إحدى حلقات البرنامج الإذاعى ( بعد  
منتصف الليل ) الذى كان يذاع فى الواحدة من صباح  
يوم الجمعة أسبوعيًا .. فلا بد إذن أننا كنا فى العام  
1969 أو 1970 .. لا أذكر بالضبط .. المؤكد بالنسبة  
لى هو أننا كنا فى الشتاء .. ربما شهر فبراير كذلك ..

(بعد منتصف الليل) .. هذا البرنامج الأسبوعي  
الذى أعطاني قسطاً لا بأس به من الشهرة - وليس  
المال - فى عصر كان المذيع فيه ذا أهمية بالغة ،  
وكان بالفعل يمثل بؤرة البيت ، والذى تقوم فكرته  
- البرنامج لا المذيع طبعاً - على تلقى مكالمات المستمعين  
على الهواء .. دائماً ما كان الرعب أو الميتافيزيقا  
موضوع تلك الحلقات ، وكنت أرد بما يفتح الله على  
به من ردود .. لكنى كنت فى أكثر الأوقات ألعب دور  
المشارك المندھش لا الناصح الحكيم ..

فيما بعد حدث ما يحدث دائماً .. هناك أطفال  
أوغاد - وكل الأطفال كذلك على الأرجح - يظنون  
ساهرين إلى ما بعد منتصف الليل ، وبرغم التحذير  
الواضح فى بداية الحلقات فإنهم كانوا يستمعون ..  
ويبدو أن البرنامج كان يثير رعبهم .. نعم .. إن تأثير  
الأصوات الخارجة من المذيع فى سكون الليل يفسح  
مجالاً هائلاً للخيال ، وربما لو كان البرنامج على  
شاشة التلفزيون لما أحدث هذا التأثير ..

هكذا قررت الرقابة إيقافه بعد عام .. لكن ما زالت  
لدى حلقات كثيرة منه .. وبعضها ممتع بلاشك ..

قلت للمذيع ( شريف السعدنى ) وأنا أضع قدح  
القهوة على المنضدة :

- « لا أعنى تلفيق المكالمات .. بل ادخارها .. أن  
تدخر بعض المستمعين طيلة الأسبوع على أن تضمن  
اتصالهم بعد منتصف الليل .. »

فى تفاؤل ابتسم وقال :

- « لا تقلق .. أنت لا تمارس العمل الإعلامى  
ولا تعرف أن هذه المكالمات كالرزق .. لا أحد ينام  
من دون عشاء ، ولن يمر البرنامج من دون  
مكالمات .. ثم إننى أراهن على علم النفس .. إن  
المواطن العادى لا يمكنه أن يقاوم سماع صوته أو  
آرائه خارجة من المذيع بينما يسمعها الملايين ..  
هذه غريزة من الغرائز التى تحرك التاريخ ، مثلها  
مثل غريزة البحث عن الطعام والجنس والنفوذ ..

هذا أقوى من التحمل البشرى .. ثِق أن الجرس  
سيدق الآن .. »

نظرت له ملياً نظرة طويلة أخرجته .. وقلت :

- « متفائل كالعادة .. دائماً متفائل .. وهذا يضاف  
إلى صفاتك العجيبة التى أجدها جديرة بالدراسة .. أنا  
على عكسك شديد التشاؤم ، وأرى أن هذا الشيء لن  
يدق أبداً .. »

قال فى غيظ مهذب :

- « تفاؤلى غير عقلانى .. وتشاؤمك غير عقلانى  
كذلك .. »

- « أنا أوّمن بأن الحظ الحسن ليس ضماناً .. لهذا  
أحتاط دائماً .. إن بعض التخطيط لن يضر أحداً .. »  
هنا - كأنما ليثير غيظى - دق جرس الهاتف ...

★ ★ ★

يبدو أن الحظ يبتسم للذين يثقون به ثقة عمياء ..

لقد جاء الصوت عبر الهاتف .. وكان من الواضح أنه من زبائن البرنامج فعلاً .. وتبادل ( شريف ) ومهندس الصوت نظرة ، وعلى الفور توقف صوت ( عبد الحليم حافظ ) الرخيم ، وخرج من السماعات صوت متحشرج واهن يقول :

- « مساء الخير .. »

فهو رجل لا يتمتع بالحس الجغرافى إذن ، لأننا ( صباح الخير ) الآن ..

اتخذ صوتى طابعاً ( إعلامياً ) رسمياً وقلت :

- « صباح الخير ياسيدى .. هل يمكن أن نتعرفك ؟ »

- « أنا ( مختار سلماوى ) .. أربعون عاماً ..

بلا عمل ولا أسرة حالياً .. أسرتى من ( الدلنجات ) بالبحيرة لكنى أعيش فى القاهرة الآن .. »

قال ( شريف ) :

- « أنت لاتضيع وقتاً ياسيدى .. لقد لخصت كل

شئ عنك .. »

- « لو رأيت ما رأيته لعرفت أن الوقت لا يمكن أن يضيع .. إن حياتي لا تنتهى أبدًا .. والنصر الوحيد الذى أحرزه فى نهاية اليوم هو أنه انتهى .. »

قلت فى حكمة :

- « هذا كلام مرضى الاكتئاب جميعًا .. »

صمت الرجل ، ثم قال فى تودة :

- « ما علينا .. »

- « هل هناك مشكلة ياسيدى ؟ »

- « نعم .. الذباب ! »

لم أفهم ما يرمى إليه ، فعدت أكرر السؤال من جديد :

- « أعنى المشكلة التى تمر بها .. المفترض أن هناك مشكلة .. »

- « قلت لك إنها الذباب .. »



هنا بدأت أفهم .. هذا مهرج آخر ممن يكرهون أن يفوتوا فرصة جذب ذيل الكلب الصغير أو ركل القط النائم .. العبث غريزة مدمرة لها سلطانها ، وسل عن هذا أى واحد ممن لا يطيقون أن يروا مقعد حافلة إلا ومزقوه بالموسى ، ولا يرون لافتة ( الرجاء عدم التدخين ) إلا وحذفوا ( عدم ) لتصير ( الرجاء التدخين ) ..

قلت له فى ضيق :

– « نحن شاكرون لك ياسيدى .. ونعتذر عن إضاعة وقتك ولكن ... »

هنا صار أداؤه عصبياً بحق :

– « أقول لك إنه الذباب .. الذباب يحاصرني فى كل مكان ولا أقدر على الخلاص منه .. »

بدت لى عصبيته حقيقية .. لو كان ممثلاً فهو عبقرى .. ولو كان مجنوناً فهو من الطراز الذى تعرفه الأفلام المصرية ، والذين يصفهم الدكتور ( شديد ) دوماً بعبارة : ما أبدعك !

هنا تدخل ( شريف ) ليثبت أنه ليس فقط نظيفاً  
وابن ناس ، وإنما هو أيضاً لبق :

— « سنكون لك شاكرين يا أستاذ ( مختار ) لو  
تحدثت بالتفصيل . »

هنا بدأ الإيقاع يهدأ قليلاً .. وبدأت قصة الرجل  
تولد ...

★ ★ ★

قال الأستاذ ( مختار ) :

— « هناك دائماً بداية لكل شيء .. لكن قصتي  
بلا بداية ما .. فقط صحت من النوم لأجد أنني  
صرت كذلك .. »

— « يمكننى أن أتكلم طويلاً عن المحاسب المحترم  
الذى عاش حياة هادئة بلا تقلبات ولا مشاكل .. حياة  
هادئة كالنهر .. يمكنك أن تتنبأ بدقة من أين بدأت ..  
وأية مسارات تتخذها .. وأين تنتهى .. طبعاً  
لا تستطيع معرفة متى تنتهى هذه .. »

- « كلية التجارة .. التخرج .. شركة خاصة  
محترمة .. زوجة صالحة من بنات الأسر .. طفلان  
جميلان .. بيت هادئ .. سيارة (نصر) صغيرة  
مستعملة لكنها تؤدي الغرض .. المصيف فى  
الإسكندرية أسبوعاً كل عام .. مدخرات بسيطة لكنها  
تجعلك مطمئناً نوعاً إلى الغد .. حلم الحج قبل أن  
تموت .. بطيخة وجريدة كل يوم فى أغسطس ..  
نزهة على الكورنيش مع الترمس واللب فى ليالى  
الصيف .. تلفزيون صغير .. »

- « لقد نلت نصيباً من كل متع الحياة .. نلت  
نصيباً صغيراً جداً لكنى لم أحرم من شىء .. وعرفت  
أننى على الأرجح سأحاول الاستمرار برغم أن  
أسرتى لم تعرف بطول العمر .. أساعد الولدين فى  
الزواج .. أذهب للحج .. أعود لأجلس على المقهى  
ألعب الطاولة مع أصدقائى القدامى .. فى كل يوم  
يموت واحد .. فى النهاية أعود إلى الدار وأطلب  
كوب ماء ثم لا أشربه لأننى أكون قد مت بالسكته  
القلبية .. جنازة .. دموع .. معاش .. صورة ذات

شريط أسود فى الصالة .. ثم ينسى الجميع كل شىء  
عنى .. »

- « هذا هو النهر الهادئ الذى تعرف فى كل  
لحظة أين سيكون فى اللحظة التالية .. »

هنا تدخلت كعادتى :

- « ألا تجد أن هذه الحياة قد تبدو جحيماً للبعض ؟  
إن عشرين عاماً أخرى من شراء البطيخ وأكل  
الترمس لهى فترة أطول من اللازم .. »

قال فى هدوء :

- « إن فكرتى عن السعادة هى السريان المنتظم  
الهادئ .. ربما أنا أغبى أو أذكى من الآخرين .. لكنى  
لست من الطراز الذى يشكو من حياة هادئة كتلك .. »

فى تأمل قلت :

- « حقاً .. أذكى أو أغبى .. إما أن تكون فى غاية  
الاكتفاء الذاتى والنضج الفلسفى ، وإما أن تكون  
- معذرة على التعبير - بقرة راضية عن مرعاها .. »

المهم أن هذا السريان الهادئ المنتظم تحول إلى حركة دوامية تطبق كل قوانين (برنولى) .. »

هنا ضغط ( شريف ) على ركبتى لأخرس قليلاً ..  
وأنا إلى حد ما أفهمه ..

وواصل الرجل الكلام :

- « نعم .. فى ذلك اليوم الأسود - منذ شهرين تقريباً - صحت من النوم لأجد أن هناك ذباباً أكثر من اللازم فى الغرفة .. نهضت من الفراش ، وفتحت الشرفة ورحت أذبه بالمهشة .. لكن عدده كان يتزايد باطراد ..

« جاءت زوجتى إلى الحجرة واندهشت لما رآته ، لهذا أحضرت مقعد ( التسريحة ) لتصعد إليه وتمد يدها فوق خزانة الثياب لتحضر زجاجة ( الفليت ) ، ثم ملأت البخاخة بالمبيد ، وبحزم وصرامة راحت ترش تلك الحشرات المزعجة وهى تلوم الولدين اللذين يأكلان الحلوى ثم يلمسان كل شىء بأيديهما الملوثة اللزجة .. تساقط الكثير من الذباب وبدا لنا أننا انتصرنا ..

« لكن الذباب عاد يحتشد من حولى حين جاست  
ألتهم الإفطار ..

« ذباب على الطبق .. ذباب يحوم حول رأسى ..  
ذباب على المعلقة .. ذباب فوق طبق الفول .. وفى  
هذه المرة نهضت مذعورًا وطلبت من زوجتى أن  
تعيد استخدام المبيد ، لكنها صاحت فى إباء إنها لن  
تفعل هذا على مائدة الطعام أبدًا ..

« هكذا لم أتناول الإفطار وغادرت الدار ..

« كنت شارد الذهن فلم أعلق أهمية على  
ما يحدث .. وركبت سيارتى العتيقة إلى العمل ..

« غريب هذا ! إن هذه السيارة تعج بالذباب ! كنا  
فى ديسمبر والطقس أقرب إلى البرودة ، وبالتالى  
لم يكن هناك ذباب إلا فيما ندر .. لكنى وجدت أن  
هناك عددًا لا بأس به من الذباب اللحوح السمج حول  
وجهى وأنا أقود ..

« لم يكن ذبابًا عاديًا يخضع للذب بسهولة .. بعضه

كان من النوع الذى يعتقد أن وجهى مكسو بالصمغ .. وكان له طنين يثير الجنون ...

« فتحت النافذة ورحت أحاول أن أبعده حتى كاد هذا يكلف أحد المارة حياته ، وفى النهاية وصلت إلى عملى ..

« يجب أن أقول إننى حتى تلك اللحظة كنت أفترض أن هناك هجوماً غير مبرر للذباب على الجميع .. من الصعب وأنت محاط بالذباب أن تفترض أنه لا يهاجم الآخرين .. لو أن سحابة من الغيوم تمطر حولك أنت وحدك فلن تعرف إلا بصعوبة أنه لا توجد أمطار فى موضع آخر ..

« دخلت العمل فكانت الملحوظات ذاتها . ورشت المبيدات ووجه اللوم إلى العمال الكسولين .. لكننى بعد قليل بدأت أفهم أننى الوحيد .. فعلاً الوحيد الذى يحيط به الذباب .. »

هنا صمت ( مختار ) .. صمت برهة طالت ، فسألته وأنا لن أندesh لو كان قد مات :

- « أستاذ (مختار) .. ماذا حدث بعد ذلك ؟ »
- « نعم ؟ »
- كأنه يتكلم من بئر عميقة ..
- « قلت لك : ماذا حدث بعد ذلك ؟ »
- قال بطريقة تقريرية :
- « انتهت القصة ! »
- « ماذا تقول ؟ »
- « أقول إن القصة انتهت عند هذا الحد .. »
- « أى أنها كانت حادث يوم واحد ؟ لقد انتهى الكابوس بلا تفسير .. »
- « بل هو مستمر بلا تفسير .. إن سحابة من الذباب تحيط بى الآن !! »

★ ★ ★



## 2- ملك الذباب ..

قال ( مختار ) :

- « استمرت المشكلة تنغص عالمى .. لم تعد زوجتى تتحمل ، ففارقت البيت مع الطفلين .. طبعاً لم تطلب الطلاق لأن مشكلة كهذه ليست من الطراز الذى يمكن الكلام عنه فى المحاكم ..

« طبعاً فى العمل قيل لى إن هذه شركة محترمة ، وليس من المستحب أن يعمل بها موظف يحيط به الذباب .. وهكذا طردونى وضميرهم يؤنبهم لأننى كنت بالفعل موظفاً بارعاً مخلصاً .. لو أننى أصبت بالجذام أو الدرن فى أثناء العمل ، لاعتبرت حالتى عجزاً أو شيئاً من هذا القبيل ، ولكانت لى معاملة مالية معقولة .. لكن هل يوجد ( قومسيون ) طبى يعترف بالذباب كسبب للعجز ؟

« وهكذا يادكتور ( رفعت ) وجدت نفسى خلال أسبوعين وقد فقدت كل شىء .. العمل والأسرة وراحة البال .. فلم يبق لى إلا البيت الخاوى كى أخفى فيه سرى .. والحقيقة إن فكرة الانتحار خطرت لى مرارًا ، لكنى كما قلت لك رجل متدين عاش حياة محترمة .. فهل أنهى هذه الحياة المحترمة بشرائين مقطوعة ؟ من الغريب أن أسرتى امتازت بأجداد يموتون فى سن مبكرة لا تتجاوز الأربعين .. لكنى الاستثناء الوحيد هنا كما يبدو ، وهذا ليس مما يسعد نفسى »

هنا جاءت اللحظة التى كنت أخشاها منذ بدء المحادثة :

- « ما هو رأيك إذن يادكتور ( رفعت ) ؟ »

ابتلعت ريقى .. لو أنهم أحضروا هنا كل السحرة وخبراء الميتافيزيقا والقوى النفسية وكل الأطباء النفسيين وعلماء الحشرات ، فلا أحسبهم سيقولون رأياً أكثر عمقاً من رأى الآن :



« وهكذا يا دكتور (رفعت) وجدت نفسي خلال أسبوعين وقد  
فقدت كل شيء .. »

— « لا رأى لى يا أستاذ (مختار) . هذه القصة  
غريبة حقاً .. بل إننى لم أسمع مثلها من قبل .. »  
— « أنا لا أتصل كى تخبرنى بأن حالتى غريبة .. »  
قلت فى عصبية :

— « يجب أن تكون عادلاً .. امنحنى فرصة لتكوين  
رأى .. أما أن تطالبنى بالحكم الفورى فلست (سليمان)  
الحكيم .. لاحظ أنك تعرف حالتك جيداً وتألفها ، أما  
أنا فلم أسمع عنها إلا منذ عشر دقائق .. »  
قال (شريف) فى رزانة :

— « الأمر يوحى بأن هناك لعنة معينة تطارد  
الرجل .. »

— « يبدو الأمر كذلك .. لكنه كما قال يحيا كنهر  
هادئ ، واللغات لا تطارد الأنهار الهادئة .. إنها  
تطارد الدوامات والشلالات ومساقط المياه . »

ثم تكلمت موجهًا الكلام إلى ضيف البرنامج :

— « هل لك احتكاك سابق بعوالم الميتافيزيقا ؟ هل

فتحت مقبرة فرعونية أو آشورية أو تخص أباطرة  
المانشو ؟ »

ضحك الرجل بعصبية .. ولم يرد وكان معنى عدم  
الرد بليغاً ..

عدت أسأله :

— « هل تعفن أحد أطرافك ؟ هل أنت مصاب  
بغغرينا الغاز أو أى جرح ملوث ؟ »

فى ضيق صدر قال :

— « لا .. »

— « هل يمكنك الاتصال بى ؟ لابد من لقاء .. إن  
مشكلتك أعقد من أن تُحلّ على الهواء .. »

— « ممكن .. »

— « هل تعرف طريقة الاتصال بى ؟ »

— « أعتقد .. »

ثم وضع السماعة ..

كان تأثير هذا سببها بالصفحة قليلاً لأننى تعودت على أننا نحن - بسلطة الإعلام - من يضع السماعه فى وجوه الآخرين .. من الوقاحة أن تصفع من اعتاد أن يصفع ..

قال ( شريف ) وهو لم يلحظ ارتباكى :

- « حالة غامضة يادكتور .. وأعتقد أننا لم نتحرك كثيراً بعد سماع القصة كاملة .. »

قلت فى ضيق :

- « لا أعرف .. إننا نفترض دوماً أن من يتصل بنا صادق ، وأن المازحين العابثين الراغبين فى التسلية على خلق الله لا وجود لهم .. وهو افتراض ( يوتوبى ) إلى حد ما .. بل وأجسر على وصفه بالسذاجة .. »

- « لا مصلحة له فى اختلاق قصة .. »

- « لاتنس متعة العبث .. العبث للعبث .. كما أن ( أوسكار وايلد ) تحدث عن الفن للفن ، وتحدث ( ليلوش ) عن الحياة للحياة ... »

- « ربما لكننا - كما قلت أنت - نفترض حسن النية فى مستمعينا .. يبدو أن الوقت داهمنا .. ليس أمامنا سادتى إلا أن نشكر ... إلخ .. »

★ ★ ★

أكون كاذبًا لو قلت إن القصة احتلت أى جزء من عالمى فى الأيام التالية ..

لقد عدت لممارسة حياتى الرتيبة ، وفى الأسبوع التالى عدت إلى الأستوديو لأقدم حلقة أخرى من البرنامج ، وكانت قصة الطفلة ( نهال ) التى كانت تعتقد أن أباهما قد مسه تمثال ( ست ) .. أعتقد أنكم تذكرون تلك الحلقة .. كانت قصة غريبة لكن - على الأقل - كان لها تفسيرها ..

كنت أستعد فى ذلك الوقت للسفر إلى الولايات المتحدة ثم أوروبا ، لهذا أخبرت ( شريف ) أن الحلقات ستتوقف بعض الوقت .. لو لم يكن البرنامج على الهواء لأمكننا أن نسجل حلقتين أو ثلاثًا .. الهدف

من سفرى مؤتمران علميان ، لكن النتيجة الفرعية كانت تلك المغامرة الأوروبية التى حكيتها لكم عن اجتماع الساحرات فى كهفهن لأكل الأطفال .. ماذا ؟ لم أحكها بعد ؟ مستحيل .. لابد أننى حكيتها باسم ( أسطورة كهف السحرة ) أو ( أسطورة الغابة ) أو شيء من هذا القبيل .. غريب هذا ! إننى إذن أشيخ حقاً ...

ليكن .. ربما أحكيها فى مرة قادمة .. لكن ليس اليوم ..

كانت حياتى تمضى بانتظام لكنى لم أكف عن تذكر ذلك التعبير الذى قاله ( مختار ) عن تلك الحياة الهادئة كالنهر .. يمكنك أن تتنبأ بدقة من أين بدأت .. وأية مسارات تتخذها .. وأين تنتهى .. وطبعاً لا تستطيع معرفة متى تنتهى ..

إن حياتى نهر هادئ بالفعل .. لكن مشكلتها هى تلك الشلالات التى تعترض طريقها من حين لآخر .. ولا أعرف حقاً إن كنت أتمنى أن أعيش فى نهر أم



فى شلال .. الأول ممل أكثر من اللازم والآخر مثير  
أكثر من اللازم .. ربما لو أننى منحت حياة شخص  
آخر لاخترت حياتى هذه .. على كل حال أنا اعتدت  
جو التعاويذ القديمة والأشباح ومصاصى الدماء  
الذين يعودون للحياة ، ولم أعد أتصور أية حياة  
أخرى .. ويبدو أن هذه الأشياء بدورها لم تعد  
تتصور أى أحقق آخر سوى ..

أعتقد أن السفر هو ما أتوق إليه الآن ..

كنت جالساً فى مكتبى - بعد أسبوعين - أراجع  
بعض الأوراق العلمية حين شعرت بوجود .. وجود  
له أبعاد هائلة من الطول والعرض والارتفاع ..  
رفعت رأسى فوجدت أن الواقف على الباب امرأة ..  
امرأة ضخمة كالكابوس تقف على الباب وتنتظر فى  
أدب حتى أرفع نحوها عينين متسائلتين ..

انتزعت عوينات القراءة ، وارتديت العوينات الأخرى  
وهى لحسن الحظ تصغر الأشياء قليلاً ، وبالتالى  
صار بإمكانى استيعاب هذا الكيان العملاق .. وأعدت

النظر فوجدت أن رأيى الأول كان مصيبًا ، وإن كان لها وجه طفولى مريح .. فهى إذن لن تلقينى على الأرض وتركل طحالى حتى يتمزق .. ومن الصعب فى هذه الأيام أن تقابل من لا يفعل بك ذلك ..

- « دكتور ( رفعت ) ؟ ( رفعت إسماعيل ) ؟ »

فلو كانت أسمع قليلاً لقلت لها ردًا سخيًا على غرار : إن لم أكن أنا هو فالأمر خطير .. إلخ .

- « أنا هو .. »

- « أنا ( منيرة عبد اللطيف ) .. مدام ( سلماوى ) لو أردت .. »

كان الاسمان لا يعنيان لى أى شىء .. لكننى ابتسمت كأنما تعطف على أخيرًا بزيارة طال انتظارها .. ودعوتهما للجلوس ..

جاست فسمعت الأريكة العتيقة تنن احتجاجًا .. ثم قالت وهى تلهث من فرط ما أحرق من ( الأدينوسين ثلاثى الفوسفات ) :

- « نحن لم ننفصل .. أعنى أن هذا لم يتم رسمياً ..  
فقط أنا فى بيت أهلى إلى أن يستجد شىء .. »

ومدت يدها إلى كوب الماء على مكتبى فرشفت  
رشفة لابس بها .. ثم غمغت :

- « لا تؤاخذنى .. »

كأنما هذه المرأة تفترض أننى أذكر كل شىء عن  
كل إنسان مشى على البسيطة .. لا أعتقد أن كمبيوتر  
المخابرات المركزية الأمريكية يمكنه أن يزعم هذه  
القدرة ، لذا قلت لها فى رزانة :

- « الحق هو ما فكرت فيه .. الانفصال هو آخر  
حل يلجأ إليه الزوجان .. إن الهدم أسهل من البناء .. »

- « هذا ما فكرت فيه .. »

- « وهو ؟ ألم يأت إلى بيت أهلك قط طالباً الصلح ؟ »

- « نعم .. لم يأت .. إن مشكلته تزداد تعقيداً وهو  
لا يجد الراحة لحظة واحدة .. »

- « هل كرامته ملتهبة إلى هذا الحد ؟ »

- « بل عيناه هما الملتهبتان .. أنت تعرف أن الرمد لا يفارق عينيه بسبب كل هذا الذباب ! »

هنا انتهى فتيل صبرى فصحت فى عصبية :

- « ذباب ؟ عم تتكلمين بالضبط ؟ »

نظرت لى فى غباء .. ثم انفجرت فى ضحكة مرهقة تعسة :

- « وأنت عم تتكلم ؟ ظننتك فهمت أننى أتحدث عن (مختار سلماوى) .. الرجل الذى اتصل بك فى أثناء إذاعة برنامجك الإذاعى .. لقد نسيت اسمه .. »

هنا عاد إلى خيط الذكريات بوضوح تام .. هذه زوجة الرجل الذى يطارده الذباب .. ومن الواضح أنها تحاول معاونته بشكل ما ..

قلت لها وأنا أجفف عرقى :

- « هل لى أن أعرف سبب تشريفك لى ؟ هل أرسلك زوجك ؟ »

- « قلت لك إنه لا اتصال بيننا .. »

- « وكيف وصلت إلى هنا ؟ »

- « من يسأل لا يضل الطريق .. المهم أننى جئت  
أطلب عونك لأننى أعرف أن زوجى لن يتصل بك  
أبداً .. إنه قانط يعرف أنه لا أحد يستطيع مساعدته ..  
ولعل اتصاله ببرنامجك كان محاولة أخيرة ( من  
حلاوة الروح ) كما يقولون .. لكنى أتابع منذ زمن  
برنامجك الذى نسيت اسمه .. أعرف أنك بارع أو  
على الأقل أنت أفضل البلهاء أو النصابين الموجودين .. »  
ثم مالت تسألنى فى فضول :

- « هل سمعت من قبل عن رجل يطارده الذباب  
أينما ذهب ؟ »

قلت - مكلماً نفسى فى الواقع - وأنا أخط بالقلم  
على الورق :

- « هناك فى الأساطير الإغريقية مدينة كاملة  
ابتليت بالذباب ، هى مدينة ( أرجوس ) ، وهذا لأنها

تسترت على مصرع (أجامنون) بطل حرب  
طروادة على يد زوجته (كلمنسترا) وحبیبها  
(إيجسن) .. فى النهاية يقوم ابنها (أورست) بقتلها  
وحبیبها انتقاماً لأبيه .. لقد عولجت هذه القصة  
بالتفصيل فى ثلاثية (أورستيا) لـ (أسخيلوس) ..

« فيما بعد جاء الكاتب الوجودى (سارتر) ليعالج القصة بمفهوم مختلف فى مسرحية (الذباب) .. طبعًا ليجعل (إيجسن) يرمز للنازيين و (كلتمنسترا) ترمز لحكومة (فيشى) الفرنسية العميلة التى تعاونت معهم .. أما (أورست) فهو المثقف الوجودى الذى يفعل ما يؤمن به متحدثًا (زيوس) نفسه .. وفى النهاية يغادر المدينة رمزًا إلى أنه يصلح للثورة والتحرير لكنه لا يصلح للحكم .. »

كانت تصغى لى فى انبهار ممصصة بشفتيها  
كأنما تسمع شاعراً يترنم على القيثارة ، وقالت :

- « ياسلااااااالم ! أحسنت ! الزوجة الخائنة لا بد  
من أن تجلد بالسياط .. »

نظرت لها ثم تذكرت من هى .. ليس الوقت مناسباً للكلام عن الميثولوجيا الإغريقية والمفكر الوجودى وحكومة (فيشى) .. هى لم ترفى القصة كلها سوى أن الزوجة الخائنة يجب أن تجلد بالسياط ، كأنما تشاهد فيلماً عربياً ..

هذه زوجة مصرية عادية جداً .. أم بطبعها منذ كانت فى المهد .. سيدة بيت .. ومن الواضح أنها تجيد صنع المحشو والكفتة .. هاتان اليدان المكتنزتان تشيان بذلك .. يدان خلقتا كى تضغطا على كرات اللحم الغارقة فى السمن قبل وضعها فى الصينية .. لابد بالطبع من أن تدس فى قمها بعض السمن البلدى بالمغرفة قبل استعماله على سبيل قياس الجودة والتأكد من أن « السمنة مرملة » .. هذه سيدة لن تظفر منها برأى عميق أو منطقى لكنها جديرة بكل احترام كما نحترم أمهاتنا ..

أخذت شهيقاً عميقاً وقلت لها :

- « طبعاً هذه أساطير ولا يمكن أن نقيس عليها ..

بينما ما حدث لزوجك واقع لاشك فيه . ورأى الخاص  
الذى أصر عليه هو أننى لن أقول حرفاً دون لقائه .. »  
وعدت أسألها :

- « كيف يبدو الأمر ؟ »

قالت فى بساطة :

- « كما قال لك .. حيثما وجد هناك ذباب كثير  
جداً .. مهما جربت المبيدات فلا جدوى .. سرعان  
ما تتحشد أسراب أخرى .. هذا يجعل الحياة  
لا تطاق .. »

- « وهل تتبعث منه روائح منفرة أو شىء من هذا  
القبيل ؟ هل يعانى من مصدر للتقيح ؟ »

تكرر أنفها اشمئزاً كأنما قلت شيئاً غليظاً  
وقالت :

- « البتة .. لكن لا يمكنك أن تحتفظ بصحتك مع كل  
هذا الذباب .. بالطبع التهبت عيناه واضطربت  
معدته .. ولو بقيت معه لأصابنا ما أصابه .. أنا لست



قاسية يادكتور ( رفعت ) .. أنا أحب بيتى وزوجى ،  
ولكن ما يحدث هنالك هو شىء بلا تفسير .. والأهم  
أنه لا يطاق .. »

— « فهمت .. أى أن المرض جاء نتيجة وليس  
سبباً .. وبالطبع أخذت رأى عدد لا بأس به من  
الدجالين .. »

ارتسم على وجهها تعبير يقول بوضوح :  
( ماتعدش ! ) .. وراحت تلوح بكفها كأنما تطلب  
بعض الهواء :

— « يوه .. يوه ! عدد لا يحصى منهم .. طبعاً كانوا  
يتحدثون عن عمل ( سفلى ) .. إلخ .. لكن ما توصلت  
إليه هو أن هؤلاء القوم لا يعرفون شيئاً .. لا يعرفون  
شيئاً على الإطلاق .. »

ثم وضعت يدها السميكة على المكتب وقالت :  
— « لن يأتى إليك أبداً .. يجب أن تذهب إليه .. »  
نظرت لها فى حيرة وابتلعت ريقى :

- « هل هناك سبب لكل هذه الحماسة ؟ »

- « أنت تنفذ أسيرة من الانهيار .. وتنقذه من الجنون .. هو لن ينتحر لكنه سيفعل إذا جن .. من يدري ؟ لعل الله جاعل الخلاص على يديك .. لا تبدو قادرًا على ذلك ، لكن الله قادر على كل شيء »

ساد الصمت وهلة .. سأبتلع رأيها فى الذى كونته من خبرة طويلة مع المحشو والكفتة والسمن البلدى .. دعك من أنها لم تبتعد عن الحقيقة كثيرًا .. رحت أرمقها وأنا أدق بإصبعى على المنضدة ، ثم قلت لها :

- « حسن .. أريد العنوان .. »

ابتسمت فى توحش وقالت :

- « المشكلة الأخرى هى أنه لن يلقاك أبدًا بكامل وعيه .. أعتقد أنك ستحاول إقناعه عدة مرات ، فإني فشلت فعليك أن تتسلل إلى الداخل ! »

★ ★ ★

### 3- المقابلة ..

---

يجب أن أكون واضحًا ..

قد يحلو لى بعد قليل من السرد ، وقد يحلو للبعض من (صائدى الأبطال ) أن يعتبر أنى فعلت ما فطنت انطلاقًا من شهامة قل أن نجدها هذه الأيام .. فى الحقيقة لأحب أن أطلق على الأمور أسماء أخرى .. إن الناس قد تعتبر الشخص الممل إنسانًا (يفضل الصمت حين لا يوجد ما يقال ) ، وتعتبر الشخص الوقح رجلاً ( لا يصمت عن الحق ) .. والعاشق يتخلى عن فتاته دافعًا لأنه ملها ، بينما هى ترتجف تأثرًا بالقلب المرهف الذى يمنحها حريتها مع من هو أفضل منه ..

لن أزعم شيئًا من هذا .. لقد كان الفضول هو ما يحركنى .. الفضول لتجربة جديدة ، وأنا كما قلت لكم أجمع الخبرات كما يجمع غيرى علب الثقاب أو

سدادات الزجاجات .. هذا الفضول يمكن بسهولة أن يقتع غير المدققين بأنه شهامة لاحد لها .

قالت لى الزوجة وهى تخرج المفتاح من حقيبتها :

- « لم يعد يغادر الدار أبداً .. لذا ستجده فى أى وقت .. »

- « سوف يملأ الدنيا صراخا ويطلب الشرطة .. سأتحول إلى ( هجام ) كترقية أخيرة فى حياتى .. »

- « أولاً هلن يطلب الشرطة أبداً .. ثانياً هو يعرف وجهك ، ولسوف تنقضى فترة عدم الفهم والمفاجأة سريعاً ، ثم يبدأ فى الكلام .. »

- « ومن قال إنه لا يوصد الباب بالمزلاج ؟ »

- « أنا قلت .. ليست هذه من عاداته .. »

على كل حال أخذت منها المفتاح وأنا أنوى ألا أستعمله أبداً .. من أدرانى أن هذا ليس مقلباً لتوريطى فى تهمة سرقة ؟ ليس لى أعداء بشريون كثيرون ، لكن هذا وارد .. بعد أعوام رأيت هذا

السيناريو حرفياً فى إحدى حلقات ( الكاميرا العفوية  
CANDID CAMERA ) الأمريكية ، ولكن أقطع ما حدث  
للمتسل هو أنه فوجئ بمن يقول له : ابتسم .. أنت  
فى الكاميرا العفوية ..

هنا لن يكون الأمر كذلك ..

قلت لها وأنا أدرس المفتاح فى جيبى :

- « ليكن .. سأزوره وأحاول أن أفعل شيئاً .. »

ابتسمت فى انتصار ثم بدأت فى إحراق ( الأدينوسين  
ثلاثى الفوسفات ) كى تنهض ..

قلت لها :

- « هل تعرفين رقم هاتفى ؟ »

- « نعم .. وأعرف أين أجذك فلا تقلق .. »

ثم ناولتنى قصاصة صغيرة من الورق لابد أنها  
من طرف جريدة ، وجدت عليها عنوان بيت أهلها  
ورقم الهاتف .. طبعاً كانت هناك ورقة أخرى عليها  
عنوان ( مختار ) ورقم هاتفه ..

البيت كان فى القاهرة ، فى حى شعبى مزدحم ..  
تحتة مقهى يتبادل رواده السباب والبصاق وقرع  
أحجار الطاولة بطريقة توحى بالانتصار .. وكان  
هناك متجر لشطائر الفول والطعمية ، وأرض خالية  
فى مواجهته اتخذها سمكرى سيارات مكانا يمارس  
فيه هواية الدق .. لابد أن صاحبنا كان أصم إذن  
حين تحدث عن (بيت هادئ) .. لقد جعلتنى كلماته  
أتخيل فيلا هادئة فى (جاردن سيتى) أو (الزمالك) ..  
على أن عينى وقعتا فى الأرض الفضاء على  
سيارة (نصر) لاتخص السمكرى .. إنها سيارة  
(مختار) على الأرجح ..

فى رهبة اتجهت إلى المدخل .. لم يكن هناك  
بواب .. والدرج كان نظيفا تفوح منه رائحة مطهر  
قوى ..

أصعد مرهقا ولا يفوتنى أن ألاحظ أن البيت خال  
تماما بلا سكان .. الزوجة قالت لى شيئا عن هذا ،  
وإن صاحب البيت لا يؤجر باقى الشقق ، وكانت هذه  
هى العادة فى ذلك الزمن ..

على باب الشقة فى الطابق الثالث وقفت ألهمت  
وأتحسس عضلات صدرى .. لقد صارت الذبحة  
الصدرية شيئاً طبيعياً فى عالمى إلى حد أننى لا أفهم  
كيف يمارس الناس حياتهم دون آلام فى الصدر ..  
ثمّة شىء على الأرض .. شىء ليس محبب  
الرائحة ..

انحنيت متوقفاً الأسوأ فلم أجده .. هذه بعض  
الأكياس تحوى خبزاً وشطائر .. خبز صار كتلة من  
العفن وشطائر ليست أفضل حالاً .. ثمّة ثلاث جرائد  
يومية واضح من حالتها أن أحداً لم يمسه ..

### طاق طاق !

لأنه لا جرس هناك .. ولا استجابة كذلك ..

### طاق طاق !

بعنف أكثر ...

.. « أستاذ ( مختار ) !! »

لا أتلقى ردّاً .. عندها أوشك على التراجع .. لكن

عقلى لا يتنازل بهذه السهولة : رجل وحيد لا يرد +  
جرائد لم يقرأها أحد + طعام لم يمس غالبًا كان  
هناك من يجلبه ويضعه على الباب = ؟؟؟؟

لا يحتاج الأمر إلا إلى رائحة عفن ، ومجموعة من  
المخبرين - وكل المخبرين اسمهم (بطويسى) -  
تهشم الباب بأكتافها ، ثم خبر فى صفحة الحوادث ..

فكرت فى الأمر مليًا ، ثم وجدت أن نظرة واحدة  
لن تضر أحدًا .. الزوجة قالت إنه لن يرد على ..  
فماذا لو كان هذا صحيحًا ؟

بحثت فى جيبى عن المفتاح ودسسته فى الثقب ..  
كليك ! انفتح على الفور كأنما لم يدره الرجل من  
الداخل على الإطلاق ..

أخيرًا رأيت الصالة .. هذا بيت عادى جدًا ليس  
موحيًا بالفقر ولا الثراء .. يمكن أن تراه فى كل  
مكان فى مصر وربما كان بيتك إذا لم تكن مليونيرًا  
أو شحاذًا ..

عفن ؟ بالطبع لا .. لا توجد رائحة إلا تلك المعتادة



فى مكان مغلق لا يفتح أبداً .. فقط أدخل وأحاذر  
الارتطام بالمقاعد وأنا أوصل النداء :

- « أستاذ ( مختار ) !! »

حتمًا سيظهر الآن .. سيخرج من مكان ما خلفى  
لينقض علىّ ، عندها لن يتحمل قلبى الصدمة ..  
أفزعى الخاطر فتلفتت إلى الوراء ، وكان هذا سيئاً  
لأننى بدأت أقلق بحق .. إن الأركان التى لا يبلغها  
النور أكثر من اللازم هنا ..

كانت هناك غرفة .. وكنت أعرف أنه فى الغرفة ..  
هذه أشياء لا يمكن تفسيرها ..

خطوت متردداً إلى هناك ووقفت على الباب أنظر  
إلى الداخل ..

حقاً كان المشهد لا يصدق ..

★ ★ ★

الذباب على الباب .. الذباب على الجدران ..

يمكنك بصعوبة بالغة أن تعرف اللون الأصلي لهذا الجدار ..

الذباب على الأرض .. الذباب فى الهواء ..

هذه حجرة نوم عادية جدًا من حجرات نومنا .. حجرة من التى توضع فيها حقائب السفر على خزانة الثياب ، مع الصندوق الورقى المقوى الذى اشترؤا فيه جهاز التلفزيون .. لابد أن خزانة الثياب تحوى كسوة الصيف وقد تم ترصيعها بأقراص ( الناقتالين ) المضادة للعث ..

لكن الأرض كانت مغطاة بعلب المبيدات الحشرية الفارغة على الأرجح ..

على الكومود بقايا وجبة التهم الذباب نصفها .. وهناك كومة من الكتب .. وثمة شرفة أغلق بابها بالشيش والزجاج معًا ولسبب واضح طبعًا ..

الفراش مغطى بالذباب ، لكنك تستطيع أن ترى الجسد الراقد فوقه والذى تغطى بالذباب تقريبًا .. رجل

قد التفت بالملاءات وأوشك على تغطية وجهه ذاته  
لولا أنه ترك بصيصاً للعينين ..

وكان يتنفس ..

كنت أقترّب وأنا أحرك يدي ذات اليمين واليسار  
محاولاً إبعاد تلك الحشرات اللحوح عني ، وفي كل  
لحظة كنت أرتجف .. هذه التجربة - بحق - من  
طراز فريد علىّ تماماً .. لن أكف عن الدهشة بعد كل  
ما رأيت كأنما الحياة تتحداني في كل لحظة : تحسب  
أنك خبرت كل شيء ؟ حسن .. ستري يا أحمق !

سمعته يهمس من تحت الأغطية :

- « من ؟ من هنا ؟ انصرف فلا مال لدى .. أنت  
تضيع وقتك .. »

وهو ما كان واضحاً من دون تفسيرات غبية .. لو  
كنت لصاً لبادرت بالفرار لدى رؤية هذا المشهد ،  
لكني لست بهذا القدر من الذكاء طبعاً ..

قلت بصوت مرتجف قليلاً :

- « أنا .. أنا دكتور ( رفعت إسماعيل ) .. »

- « آه .. أرجو أن تسامحني .. إن النظافة هنا ليست مما يناسبك .. لاحظ أنك لم تأخذ موعداً من السكرتيرة .. »

بينى وبينك كان رد فعله غير متوقع .. وبالتالي ليس مما يريحني .. إنه لم يبد الكثير من الدهشة ..

تناولت ملاءة ورحت أطردها تلك الحشرات .. إن الأمر غريب ، لكنها بالتأكيد ليست جراداً .. ليست بكثافة الجراد الذى يجعل الفلاحين لا يرون الشمس .. فقط يوحي الأمر بأن هناك كومة من القمامة هنا ..

قلت للرجل وأنا أتجه إلى الشرفة لأعالج مزلاجها :

- « اسمع .. لا أعرف فكرتك عن الترفيه ، لكن لا يمكنك أن تبقى فى هذا المكان .. »

- « أنت لا تفهم شيئاً .. هذه الحشرات تأتي حيث أكون .. لقد جربت كل شيء .. تغيير المكان لن يجدى شيئاً .. »

انفتحت الشرفة وتسرب النور إلى الداخل .. كانت  
تطل على زقاق خال لكنه نظيف .. أما ما أثار رعبى  
فهو أن الذباب لم يخرج .. كان يأتى من الخارج ..

صاح كالمجنون :

— « أغلق الزجاج يا أحمق ! أنت فقط تزيد من  
أعداء هنا !! »

صحت كمجنون آخر :

— « كف عن هذا أنت وانزع هذه الأغطية .. لابد  
من أن أفحص جيداً .. »

وبصعوبة كافحت حتى حررت رأسه من الغطاء ثم  
بدأ يهدأ قليلاً فحررت باقى جسده .. كان رجلاً فى  
الأربعين من العمر كما قال ، نحيلاً هزيلاً يذكر  
بمرضى السرطان فى مراحلهِ الأخيرة .. وأدركت أنه  
لم يحلق لحيته منذ أسبوع على الأقل ، وفى عينيه  
نظرات مجنون .. لا ألومه على هذا كثيراً ..

كانت عيناى تفتشان فى جسده ، وسط أسراب



أما ما أثار رعبى فهو أن الذباب لم يخرج .. كان يأتى  
من الخارج ..

الذباب هذه ، عن موضع جرح متعفن .. غفرينا ..  
شيء يسبب هذا كله .. كنت أعرف أننى لن أجد  
شيئاً لأن رائحة الرجل عادية جداً ..

قال وهو مستسلم فى شيء من التهكم :

- « لا تتعب نفسك .. (كان غيرك أشطر) .. ما من  
طبيب لم يبحث عما تبحث عنه الآن .. »  
- « أكون شاكراً لو خرست قليلاً .. »

كانت عيناه ملتهبتين تماماً كما قالت زوجته ،  
وواضح أن الذباب لم يرحم ملتحمتى عينيه .. هذا  
رجل يحتاج إلى المستشفى لفترة لا بأس بها ..  
أعرف أن هناك أنسات سريعات الاشمئزاز ها هنا ،  
لهذا لن أتحدث عن مرض (التدويد) ، وهو ما يحدث  
لشخص يهاجمه الذباب بهذه الحرية ..

قلت له وأنا مستمر فى الفحص :

- « لماذا لم تأخذ الجرائد ولا الطعام من على  
الباب ؟ »

- « لم أعد أستطيع القراءة .. أما عن الطعام ..  
فكيف أكل الآن ؟ ولماذا أكل ؟ لم يدخل جوفى منذ  
ثلاثة أيام إلا الماء .. »

قلت له فى حزم وأنا أعيد تغطيته :

- « الهاتف .. أين الهاتف ؟ »

- « ولماذا ( الهاتف أين الهاتف ) ؟ »

قلت فى صبر :

- « سأطلب سيارة إسعاف .. لن أتركك

هكذا .. لا بد من تغذيتك والعناية بهذه الـ ... »

- « لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !!

لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب

الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف

وإلا ستندم !! »

انطلق فى الصراخ مردداً هذه الكلمات فى رعب

وانفلات تامين ، جعلنى أشعر كأنما فجرت بركان

( إتنا ) .. وفشلت تماماً فى جعله يصمت ..



« لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !!  
لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب  
الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف  
وإلا ستندم !! »

أصابنى الرعب فغادرت الغرفة مسرعاً ، فإذا بى  
أسمعه يرتطم بالأرض .. لابد أنه حاول أن يلحق بى  
بينما هو لم يحرر قدميه من الملاءة جيداً .. وهو  
ما يحدث لى كل يوم وأنا أحاول إخراس المنبه  
الأحمق ..

ها هو ذا الهاتف فى الصالة على ( البوفيه ) ..  
المكان المعتاد للأسر المتوسطة .. طبقاً هو موضوع  
فى أقبح سلة من الخوص المجدول ، لأن ( فاتن  
حمامة ) تفعل شيئاً كهذا فى أفلامها ...

« لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !!  
لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب  
الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف  
وإلا ستندم !! »

أسمعه يعوى من داخل الغرفة ، ومن الواضح أنه  
لن يجد الوقت الكافى ليلحق بى ..

- « آلو .. الإسعاف ؟ لدينا رجل فى حال خطيرة  
فى ... »

هنا سمعت الصرخة ...

ألقيت بالسماعة وهرعت إلى الحجرة ..

كانت خالية إلا من حشود الذباب الحائرة التى لم  
تحدد وجهتها بعد .. كأنما هى فقدت أباهما ..

وباب الشرفة مفتوح ..

رسالة بلغة مفهومة لا تحتاج إلى مترجم ..

لقد جن الرجل تمامًا ...

★ ★ ★

- « هو لن ينتحر لكنه سيفعل إذا جن .. من  
يدرى ؟ »

★ ★ ★

## 4- تخلص منها ..

قال لى ضابط الشرطة ونحن نقف وسط حشود الفضوليين :

- « صارت عادة لك يادكتور (رفعت) أن ينتحر الأشخاص الذين تزورهم لحل مشاكلهم ! »

كانت عربة الإسعاف تغلق بابها الكئيب ، حين قلت :

- « ربما كنت أقترح حلولاً جذرية أكثر من اللازم ! لكن - يعلم الله - أننى كنت دائماً حسن النية فى كل مرة .. ولربما كان وجهى يبعث الاكتئاب فى نفوسهم .. من يدرى ؟ »

ضحك الرجل وأشعل لفافة تبغ ، ثم نظر إلى المتزاحمين شذراً وقال :

- « على كل حال القصة هنا واضحة تماماً .. الكل

يجمع على أن الرجل صار انزاليًا لا يخرج أبدًا ،  
وأن زوجته هجرته ، وشركته تخلصت منه .. لو كنت  
طبيبًا نفسيًا لقلت إن هذا أعراض الفصام .. »

- « لكنك لحسن الحظ لست كذلك .. »

« إن الخيال يفسر كل شيء .. لكنى سأكون شاكراً  
لو جئت معنا لنأخذ أقوالك بشكل رسمى .. »

هزرت كتفى فى ضيق .. المزيد من السينات  
والجيمات ..

لابأس .. لكنى متأكد من أننى لن أذكر شيئين ..  
أولاً لن أتكلم عن المفتاح لأن هذا يعقد الأمور ..  
ثانياً لن أتكلم عن الذباب لأنه لم تعد ذبابة واحدة فى  
شقة الرجل .. ولا حول جثته .. إن الموت قد حل  
مشكلته بشكل جذرى ..

لكن لا .. لا بد من الكلام عن المفتاح لو سألونى ..  
وإلا فإن الزوجة - وهى من طراز لا يحفظ سراً -

ستقول كل شيء . وعندها سيجد رجال الشرطة ثغرة  
لا بأس بها فى كلامى .. ثغرة تسمح بدخول فيل ..  
أمامى يوم عصيب بالتأكيد ..

★ ★ ★

جالسة مسربلة باللون الأسود فى دار أهلها ،  
وعيناها منتفختان كضرع بقرة حلوب ، كان من  
الواضح أنها لم تكف عن البكاء منذ عرفت الخبر ..  
أخرجت المفتاح ووضعتة أمامها ، ثم ساد صمت  
طويل .. بعد قليل همست :

- « أنا آسف .. لم أستطع مساعدته .. يعلم الله  
أننى حاولت .. »

- « تأخرنا أكثر من اللازم .. هذه هى المشكلة .. »  
ومدت يدها التى خلقت لطهى الكتفة تمسك  
بالمفتاح .. وراحت تردد تلك العبارة فى صبر ..  
- « هل سألوك عنه ؟ »

- « لا .. قلت إننى دققت الباب .. ففتح لى الفقيد ..

لم أكن راغباً فى تعقيد الأمور بالنسبة لك ولى .. »

جوارها كان أخبث وغدين يمكن أن تراهما فى الكوابيس .. ربما تراهما فى تلك الأفلام التى تدور حول حثالة القراصنة فى البحار .. هذان - طبعاً - كانا ولديها الصغيرين .. لا يمكن أن يحمل هذه الوجوه المرعبة المليئة بالشر والشهوانية والجشع إلا الأطفال .. أما الرجل الأصلع الذى يفوقها بدانة فهو أبوها ، والرجل الآخر ذو الشارب الرفيع هو أخوها الذى يعمل فى شىء ما .. من الواضح أنه مهم لأن اعتداده بنفسه يفوق الحد ..

قالت الزوجة وهى تقرب منى قدح القهوة :

- « ربما لو كنا أسرعنا قليلاً .. ولكن .. الأعمار

بيد الله .. ما كنا لنغير شيئاً .. »

ولكن لهجتها كانت تقول بوضوح : لو أنك أسرعت قليلاً يا أحمق لكنت أنقذت الرجل ، وكان حياً

يرزق بدلاً من أن أرى وجهك القبيح .. ياليتك فى  
القبر الآن بدلاً منه ..

وهو ما أغازنى بصراحة .. لست مطالباً بالموت  
بدلاً من كل شىء كى يرضى أهله عنى ..

تدخل الأخ المهم رفيع الشارب الذى هو أخوها  
قائلاً :

- « بعد هذه النهاية المأساوية يادكتور (رفعت) ..  
مازلنا راغبين فى معرفة وجهة نظرك .. ماسر هذه  
الحالة الغريبة ؟ »

قلت فى مرارة :

- « لو كنت أعرف لما كنا هنا .. لا سوابق فى  
الطب ولا الميتافيزيقا - على قدر علمى - تحكى عن  
حالة مشابهة .. هناك أشخاص يجذبون الفئران أو  
الكلاب .. لكنى لم أسمع عن رجل يجذب الذباب .. »

- « وبم توصى ؟ »

- « لو كنت أعرف لأوصيت .. لكن القضية فى

رأى انتهت تمامًا .. هذا لغز ظهر فجأة وتوارى  
فجأة .. ولا أعتقد أننا سنجد له تفسيرًا أبدًا .. هذا  
بالطبع لو كان الفقيه قد حكي كل شيء .. ربما هناك  
تجربة لا يريد أن يحكي عنها .. »

قالت المرأة في غيظ غبى :

- « أية تجربة ؟ زوجي رجل نظيف بلا تجارب ..  
لم يكن ينقصه شيء .. »

كنت أعرف أنها ستقول الشيء ذاته .. بالنسبة  
لها لا بد من أن تكون التجارب قدرة ، وإلا فلماذا هي  
تجارب إذن ؟!!

انتهيت من القهوة التي كانت متقنة الصنع ، لكن  
ظروف الجلسة جعلتها أسوأ ما شربت في حياتي ،  
ونهضت شاكرًا معزيًا معذرًا متعجلًا مرتبكًا ...

- « هل يمكن الاتصال بك في أى وقت ؟ »

- « الحقيقة أنني مسافر إلى الولايات المتحدة في  
نهاية هذا الأسبوع .. سأبقى هناك عشرة أيام .. »



لقد تركت فى نفوسهم انطباعًا لا بأس به بانعدام  
الكفاءة ، بينما هم تركوا فى نفسى انطباعًا  
بالحق .. ولأن الانطباعات الأولى تدوم .....

★ ★ ★

عندما يأتى المساء هذه الأيام لا تنتثر نجوم الليل  
لسبب ما ..

كنت قد بدأت فى إعداد العشاء .. لم أكن مفتوح  
الشهية إلى هذا الحد ، لكنى كنت أعرف أنه لاشيء  
كالطعام يمكنه أن يتكدس فوق الذكريات القاسية  
فيداريها ..

ماذا أكل الليلة ؟ لدى بعض السجق فى الثلاجة  
ولدى بعض البيض .. هل تقترح وجبة معينة ؟  
أحسن ! إن من يفكر فى طبق من السجق بالبيض  
لهو شخص عبقرى ..

كنت فى المطبخ وقد بدأت رائحة القلى الشهية  
تتصاعد ، حين دق ذلك الجهاز الكريه الذى يضعونه  
فى البيوت ليدق ..

• هرعنت إلى الخارج لأرد ، وبيد ملوثة بالدهون  
التقطت السماعة بأطراف أصابعي محاولاً ألا أمسكها  
أكثر من اللازم :

- « هذا أنا .. »

جاء صوت أنثوى لم أتعرفه جيداً يقول :

- « مساء الخير يادكتور .. ماذا تفعله الآن ؟ »

للحظة كدت أرد ثم فطنت إلى أن هذه معاكسة  
وقحة على الأرجح ، فقلت فى حزم :

- « من المتكلم ؟ »

- « أنا ( منيرة عبد اللطيف ) يادكتور .. ألم تتعرف

صوتى بعد ؟ كنت أحسبك أذكى من هذا .. »

وأكاد أقسم إن صوتها لم يخل من شقاوة أو  
دلال .. من العسير أن أتصور أن هذه السيدة التى  
توفى زوجها وكانت تبكى عليه ظهراً ، تتصل الآن  
لتنسلى على أو معى .. بالإضافة إلى أن سحرى  
الرجولى لم يبلغ هذا المقدار بعد .. إما أنها جنت أو  
هناك سر مريع ..

قلت وأنا أحاول ألا أكون فظًا :

- « سيدتى . هل من شيء عاجل هنا ؟ »

قالت فى هدوء وقد استعادت بعض جديتها :

- « لا أستطيع أن أتركك .. فأنت لم تؤذنى فى شيء .. لهذا أسدى لك نصيحتى القلبية .. حاول أن تتخلص من الميدالية التى احتفظت بها .. المهم أن تجد أحق يأخذها دون أن يرتاب فى شيء ! »

كانت كلماتها مليئة بالأخبار .. كل مقطع يحتاج إلى سؤال منفرد .. وقد دار رأسى للحظة وأنا أحاول استيعاب ما سكبته على رأسى البائس من أخبار سيئة .

سألتها فى إلحاح :

- « أية ميدالية ؟ »

- « التى أخذتها والتى كان المفتاح معلقاً بها .. »

طبعاً لم يكن هذا صحيحاً .. لقد أرجعت المفتاح كما هو .. ولست من هواة جمع الميداليات ، ولو كنت كذلك فأنا - حتماً - لست من هواة سرقتها ..

- « لم آخذها ياسيدتى .. أعتقد أنك أضعتها بشكل ما .. لو سألت الجالسين لقالوا إتنى وضعت المفتاح معلقاً من الميدالية أمامك .. »

قالت فى صبر وبلهجة من لاينوى أن يغير وجهة نظره :

- « على كل حال ، هى بلا قيمة بالنسبة لى ، لكن تذكر .. أنها مصدر الذباب الذى يطاردك ! »

- « لا يوجد ذباب يطاردنى .. إننى واهن البصر ولكن ليس إلى هذا الحد .. »

- « سيأتى ياسيدى .. لا تقلق !! »

- « لكن الميدالية كانت معك ولم تجلب لك خطراً ما .. »

قالت فى نفاذ صبر باعتبارها لم تر أحداً بهذا الغباء :

- « لأننى حين أخذتها من ( مختار ) كنت أعرف خطرها .. المرحوم ( مختار ) لم يعرف .. لم يعرف

إلا بعد فوات الأوان وبعد أن صار التخلّص منها  
بلا جدوى .. لقد حاولت أن أساعده بأن أعطيك إياها  
لكن هذا لم يحدث فارقاً .. الآن صار عليك أن تعطيها  
لشخص لا يشك في شيء ! »

كانت أسئلتى تتلاحق إلى حد أنها تهشم بعضها  
البعض .. عقلتى دجاجة تبيض بسرعة جنونية  
فلا يقدر أحد على الحصول على بيضة سليمة واحدة  
.. لهذا لم أجد إلا أن أقول :

- « أشكرك على هذه الرغبة الملحة في إيذائي ..  
ربما كنت جاهلاً أو غيباً ، لكنى لا أنكر أن أحداً حاول  
قتلى لهذا السبب .. كما أنني كنت صادقاً في محاولتى  
المساعدة .. »

وابتلعت ريقى ، وأضفت :

- « مادامت هذه لحظة الحقيقة إذن فاعلمى أن  
زوجك مجنون .. وأنت لا تقلين عنه جنوناً فيما  
أظن .. أحسنت بك الظن فحسبتك مجرد بلهاء خاوية  
العقل ، والآن أجد أن زوجك أجاد الاختيار حقاً .. »



فلن نجد المعدة التى تقبل هضمها .. إن القطط التى  
يتم إطعامها على صوت نباح كلب تصاب بقرحة  
المعدة خلال أسبوع .. هذه تجربة معروفة ..

يمكننا أن نقوم بتقدير الموقف على ضوء ما سمعته :

1 - لو كان كلام المرأة دقيقاً فهناك ميدالية تبدأ  
حالة (جاذبية الذباب) هذه ..

2 - الزوج حصل على الميدالية دون أن يعرف  
بخطرها .. وهذا بالضبط هو المطلوب لجعلها تعمل ..

3 - من أعطاه إياها ؟ الزوجة ؟ لا .. على الأرجح  
أعطاه إياها ملك ذباب آخر ..

4 - ولربما هذا الملك الآخر هو الذى أنذر الزوجة  
كى يخلى مسئوليته الأدبية بعدما أنقذ حياته .

5 - يبدو أن الزوجة قررت إنقاذ زوجها عن  
طريق إعطاء الميدالية لأبله آخر .. ولهذا كان  
اقتراح أن أدخل البيت وأفتح الباب بنفسى ..

6 - وكنت أنا هذا الأبله ..

7 - الآن تطالبني بالبحث عن أعطيه الميدالية

من جديد ..

تصرفها أنانى .. لكنها ما كانت لتجد من يقبل أخذ  
الميدالية طواعية ..

لكن السؤال الأهم هنا هو : هل الميدالية معنى  
حقاً ؟

نهضت إلى الخزانة فأخرجت كل سراويلي وستراتي ..  
كل ماله جيب يمكن أن توضع فيه هذه الميدالية ،  
وبحثت بعناية .. بالطبع لا وجود لها .. فتشت كل  
المخابئ السرية في داري التي أضع فيها الأشياء كي  
لا تضيع ، ثم أنسى تماماً بعدها أين وضعت .. وجدت  
عشرين خيطاً احتفظت به كي ( أجده عندما أحتاج  
إليه ) وبالطبع كان لا يظهر أبداً عندما أحتاج إليه ..  
وجدت إيصالات كهرباء وهاتف .. وجدت صورة  
لفتاة بلهاء لم أرها في حياتي كتبت على ظهرها :  
إلى حبي الأوحده ( رف رف ) .. وجدت كل شيء  
ممكن ما عدا تلك الميدالية ..



ما الذى يدعو المرأة للاعتقاد بأننى أخذتها؟

الجواب (الفرويدى) بسيط جداً : لأنها أرادت ذلك ..  
( الهى ) لديها أرادت ذلك .. بينما منعتها ( الأنا العليا )  
التي هى الضمير .. وهكذا كان الحل الوحيد لعقد  
صلح بين ( الهى ) و ( الأنا العليا ) هو أن تضيع  
الميدالية وتنسى مكانها ، ثم تحسبها عندي .. هكذا  
حققت رغبتها فى الإيذاء ورغبتها فى عدم الإيذاء  
معاً ..

الآن أجبت عن السؤال الأول : هل الميدالية معى ؟  
لا ليست معى ..

السؤال الثانى هو : ماذا يدعو المرأة إلى الاعتقاد  
بأن الميدالية تجلب الذباب ؟ هل هذا صحيح ؟  
يجب أن أستجوبها بدقة .. يجب ...

لقد بدأت هذه القصة تثير اهتمامى بحق ...

★ ★ ★

## 5- ري دي موسكاس ..

( هذا الجزء ليس من مذكرات د. رفعت لكنه  
استنتجه فيما بعد )

من جديد تدوى الطلقات ..

المشكلة فى هذه الخرائب أنك لا تعرف أبداً من  
أين يأتى الرصاص والموت .. فقط تتحنى وتمرغ  
رأسك فى التراب إلى أن تصمت الضوضاء .. لحسن  
الحظ أن هناك الكثير من هذه الخرائب هنا .. كل  
جدار يصلح للاختفاء وراءه ، وكل جدار هو حصن  
فى حد ذاته .

من الذى يطلق الرصاص ؟ لا تعرف .. عامة يتم  
تقسيم الفريقين إلى ( أخيار ) و ( أشرار ) .. وكما  
يقولون فى الأفلام : نحن الأشخاص الطيبون .. هذا  
يلخص كل شيء ...

الذى يطلق الرصاص هذه المرة هم الأشرار ..  
لماذا يطلقون ؟ لأنهم يعتبروننا نحن الأشرار .. وهو  
سوء فهم ، لكن لا يمكن التغلب عليه لأن الرصاص  
هو التحية هنا ..

طبعًا لا داعى لأن أقول إن الرجلين كانا يجهلان  
كل شيء تمامًا عن هذه الفوارق الفلسفية .. كانا  
يتصرفان بعفوية وبالغريزة لا أكثر .. محاولة النجاة  
بالحياة .. محاولة البحث عن الطعام ..

هما لا يعرفان كيف ولماذا جاءا هنا .. ولا يعرفان  
هدف هذا كله .. ولا يملكان أدنى أمل فى الغد .. كل  
ما يعرفانه هو تلك المحاولة البطولية من أجل الحفاظ  
على حياتيهما .. وهى محاولة شبه مستحيلة طبعًا ..

كانا فلاحين بسيطين .. الأول هو (شعبان  
التلاوى) .. شاب فى التاسعة عشرة من عمره من  
المنوفية .. ومن الواضح أنه قوى الجسد أو كان  
كذلك قبل أن يفتك الجوع بتكوينه العضلى ، ويبدو أن  
الفران الصحراوية ليست مغذية جدًا ..

الآخر هو ( عيد أبو فراج ) من ( الدلنجات ) ..  
وصحته سيئة حقاً ، لأنه كان يعاني منذ فترة من  
لغنة الفلاح المصرى التى تطارده منذ عهد  
الفراعنة .. البلهارسيا التى جعلت طحاله يتضخم  
وبطنه يتضخم ، وهو ما كان جسده قادراً على  
مقاومته فى البداية ، إلى حد أن الطبيب لم ير  
ما يمنعه من الاشتراك فى الحملة .. لكنه ما إن جاء  
إلى هذا البلد الكريه ، وجرب الجوع وأمراضاً  
غامضة شتى ، حتى فقد جسده السيطرة وأعلنت  
البلهارسيا أنها الرئيس هنا ..

كان ( عيد ) متزوجاً .. وكان لديه طفلان لا يعرف  
شيئاً عنهما منذ عامين .. لكنه كان يعرف شيئاً  
واحداً على وجه اليقين : أنهما قد صارا يتيمين  
بالفعل .. ما بقى هو بعض الإضافات التى لن تغير  
شيئاً ولن تحدث تأثيراً يذكر ..

واعتمر بندقيته فى مرارة ..

كانت فى حزامه بعض طلقات كما أن ( السونكى )

كان بحالة طيبة .. لكنه لم يكن ينوى القتال أكثر ..  
كان متعباً ولا يريد إلا أن يترك ليموت ..

أما (شعبان) فكانت طلقاته قد نفدت منذ زمن ،  
لكنه كان يحتفظ بالبندقية لاستعمالها كرمح ، كما أن  
منظرها كان يثير ذعر الفلاحين ..

كانت الشمس تتوسط السماء ، والذباب يطن فى  
كل موضع من هذه الخرائب ..

هذا هرم .. هرم عتيق تغطى الرمال أكثره ، وهما  
لم يكونا يعرفان الهرم فى مصر لأن أحدهما لم يغادر  
قريته قط ، ولم يكونا يعرفان القراءة .. لهذا بدا لهما  
المشهد غريباً .. لكن نماذج العمران فى كل مكان  
من حولهما كانت تقول إن حضارة غريبة قامت هنا  
منذ زمن .. (مساخيط) .. لا بد أن المكان يعج بهم ..

وقال (عيد) لصاحبه وهو ينظر حوله :

- « الناحية الأخرى من هذا .. يمكننا أن نجلس  
هناك .. ربما نجد بعض الظل كذلك .. »

نظر له (شعبان) بوجه كالح منهك .. حاول أن يتكلم فلم يستطع لأن لسانه كان قد جف تمامًا .. وهكذا مشى الرجلان عبر الرمال الحارقة بأقدام لم تعد فيها أحذية .. لقد سرقوا الأحذية منهما منذ أسبوع ، ولو حاولا استردادها لمزقهما الفلاحون ..

★ ★ ★

هنا نتوقف كي نضع بعض النقاط على الحروف .. نحن فى المكسيك .. فى العام 1867 .. لابد أنكم خمنتُم هذا حين رأيتم شكل الهرم وشكل الخرائب القديمة .. الأهرام التى تبدو منحدره من ناحية بينما هناك درجات سلم من الناحية الأخرى .. نعم .. هذه هى المكسيك ونحن فى قلب حضارة المايا التى سادت البلاد من العام 900م حتى القرن السادس عشر حين بدأ الأسبان يهلون حاملين الكثير من المرح لسكان هذه البلاد الأصليين ...

وكما نعرف لم يعد المايا فى يومنا هذا إلا مجرد فلاحين بسطاء لم يتخلوا عن كثير من عاداتهم ..

المنطقة التى نحن فيها تدعى شبه جزيرة  
(يوكاتين) وهى من المواضع التى ترك فيها المايا  
آثارهم بقوة .. ومن هذه الأماكن (بالينك)  
و (أوكسمال) و (تيكال) ..

ولكى نفهم تفاصيل ما يحدث أمامنا ، لابد من أن  
نستعين بشيء من التاريخ ..

التاريخ المكسيكى معقد جداً ، وبالطبع لا يمكن أن  
نقضى الوقت فى دراسته .. كل رقعة فى الأرض لها  
كتب تاريخ وأبطال ومعاهدات ، بحيث يصير من  
المستحيل أن تلم بهذا كله .. إن ما يلزمنا من التاريخ  
المكسيكى هو بالضبط ما نريده لفهم ما يحدث هنا ..

على كل حال يمكن تلخيص التاريخ المكسيكى كله  
على أنه انقلابات فتورات ، فانقلابات على الثورات ..  
ثم ثورات تطيح بالانقلابات .. مع صراع حدودى  
مزمّن مع الولايات المتحدة تنجح فيه الولايات  
المتحدة - كالعادة - فى انتزاع قطعة من شمال  
المكسيك فى كل مرة .. وهكذا ولدت (أريزونا)

و (تكساس) و (كولورادو) و (نيفادا) و (يوتا) ،  
بينما تحول جنوب المكسيك إلى شماله بمعجزة ما !

فى تلك الأعوام برز ثائر مكسيكى مهم اسمه  
(بابلو خواريز) .. تذكر الاسم .. فهو من الأسماء  
التي قد تقابلها من حين لآخر فى قراءاتك .. وقد  
تولى الحكم لفترة إلى أن دخلت الجيوش الفرنسية  
التي كان يحكمها (نابليون الثالث) (مكسيكو سيتي)  
عام 1862 .. ففر الرجل وأتباعه وقامت الحكومة التي  
تولت بتنصيب (ماكسميليان) امبراطورًا للمكسيك ..

مادخل هذا بقصتنا ؟ يا أخى اصبر قليلاً .. كيف  
أكمل قصتى وأكلمك فى الوقت ذاته ؟

ظل الرجل يحكم مع زوجته قوية الشخصية  
(كارلوتا) لمدة عام ، ثم قررت فرنسا أن تخرج  
بقواتها من البلاد .. هكذا وجد (ماكسميليان) نفسه  
فى ورطة .. كيف يظل محتفظاً بحكمه وهو الآن  
صار فى وضع الحكومة العميلة بالنسبة للثوار ؟

كان عليه أن يجد جنودًا بأى شكل ومن أى مكان ..



هنا ينبغي ( سعيد ) خديوى مصر بعرض خدماته ،  
على أساس أن الملوك يجب أن يتكاتفوا فى كل  
مكان .. وهكذا يحكى لنا التاريخ قصة عجيبة عن  
الفلاحين المصريين الذين لا يقل عددهم عن عشرة  
آلاف ، والذين أرسلهم الخديوى ليضاربوا من أجل  
تثبيت حكم الامبراطور النمساوى ( ماكسميليان ) ضد  
أعدائه الثوار !!

كان الفلاح المصرى متاحاً دائماً عبر التاريخ ،  
ولا يكلف شيئاً ولا يسأل عن مصيره ، لأن الألوفا  
هلكوا فى حفر القناة فى ذلك الزمن ، وهم عاجزون  
عن الاحتجاج .. والآن يرغم الفلاح المصرى على  
الذهاب إلى المكسيك للدفاع عن الحكومة المحافظة  
على سبيل المجاملة لا أكثر ! طبعاً بلا أجر ولا حمد  
ولا منة (\*) ..

---

( \* ) حقيقة وقد أوردها الأستاذ ( محمد حسنين هيكل ) فى كتاب

( من نيويورك إلى كابول ) .

وهنا يمكن أن نفهم أن (شعبان) و (عيد) كانا  
من هؤلاء التعساء الذين وجدوا أنفسهم فى حرب  
قاسية فى بلد غريب ..

لكن الدفاع ضد حقائق التاريخ كان صعباً ،  
وسرعان ما تقدمت جيوش الثوار إلى (مكسيكو  
سيتى) ، بقيادة الجنرال (بورفيريو دياز) .. تم  
اعتقال (ماكسميليان) وحوكم محاكمة عسكرية  
وأعدم ..

وطبعاً لا يذكر التاريخ حرفاً واحداً عن هؤلاء  
الفلاحين المصريين العشرة آلاف الذين هزموا .. هل  
ماتوا جميعاً ؟ هل هناك من فر ؟ لا شىء ..

لكننا الآن نملك مزية أن نرى اثنين من هؤلاء  
الفارين وهما يواجهان لحظات قاسية ..

★ ★ ★

كان الفلاح المكسيكى مسالماً بطبعه ..  
لهذا لم يؤذ الهاربين لكنه لم يقدم لهما أى عون ،

فهو يعرف أن الجنرال (دياز) آت ، ولسوف يعرف  
أية قرى أسدت العون للجنود المصريين ، الذين هم  
الآن - برغم إرادتهم - جنود (ماكسميليان) ، فإذا  
أضفنا هذين الفلاحين البائسين القادمين من ريف  
مصر فى القرن التاسع عشر ، لا يعرفان القراءة  
ولا الكتابة ولا كلمة إسبانية واحدة ، لأمكننا أن نفهم  
أنهما فى ورطة حقيقية ..

كانا يسمعان كلمة واحدة يقولها الفلاحون  
المكسيكيون الخائفون الذين يغطون وجوههم بقبعات  
القش :

- « رى دى موسكاس !! »

فكان الرجلان ينظران لهؤلاء .. ثم يقرران أنه  
لا جدوى من هذا المكان .. ويفران إلى موضع آخر .  
ذكريات الوطن والنيل وفتاة القرية الجميلة السمراء ،  
والزوجة والولد والمسجد المجاور للترعة .. كلها  
تبدو شيئاً بعيداً غريباً حين تجد نفسك تائهاً فى  
صحراء المكسيك هارباً من قوات (خواريز) !

- « رى دى موسكاس !! »

وليتك تعرف مامعنى هذه العبارة .. لكن المترجمين  
ترف لايملكه المرء حين يريد ..

أخيراً هما يمشيان الآن فى شبه جزيرة ( يوكاتين )  
فى أطلال مدينة ( المايا ) العظمى المعروفة باسم  
( تولوم ) .. لايعرفان هذا .. لايعرفان كذلك أن هذه  
المدينة بنيت فى القرن الثالث عشر .. لكن ذلك  
المنبنى العتيق الواقف هناك معروف لنا على الأقل ..  
إن اسمه محبب ( فريسكو وكاستيلو ) .. وهو من  
الأثار المهمة جداً هنا ..

هنا سمعا صوتاً من بعيد يصيح :

- « لوس دوس سولادوس إيجيسيوس إستين إن

لاسي روناسي ! »

وراح الصدى يردد هذه العبارة مراراً ..

لم يفهما مايقال لكنهما عرفا على الأقل أن هناك  
من يعرف أنهما هنا .. وهذه النبوة عدوانية عسكرية  
بلاشك .. فليس المتكلم من الفلاحين البسطاء ..

قال ( عيد ) وهو يلهث ويتحسس بطنه المنتفخ :

- « لقد تعب يا (شعبان) .. فليفعلوا بنا ما يريدون ..  
سيان قتلونا الآن أم بعد يوم أو يومين »

قال (شعبان) بعينين لامعتين :

- « لن يقتلونا .. ولسوف نراو غهم داخل هذه  
الجدران .. »

لا بد أن وساوس القوة كانت تطارده في مصر ..  
أكثر من مرة لعب لعبة التحطيب أو تصارع مع  
أقرانه ..

وبرغم أن حاله صار مزمرياً فإن إرادة القتال لم  
تبرحه بعد .. يريد أن يثبت أنه ( جدع ) ...

- « لوس دوس سولادوس إيجبسيوس إستين إن  
لاي رونايس ! »

الصوت يتردد في إلحاح ...

فترد عليه أصوات تقول عبارات غير واضحة  
لكنها تنتهي دوماً بـ :

- « ري دي موسكاس !! »

يهرع الرجلان إلى داخل المعبد .. الظلام والرطوبة ..  
هذا أفضل من الشمس الحارقة بالخارج ..

هناك أشياء لا يجدها إلا هؤلاء الأشخاص الذين  
لا يرون شيئاً .. ويمكننى أن أفترض اليوم أن قدم  
أحدهما تعثرت فى حلقة تخرج من الأرض .. وهنا  
خطرت لهما الفكرة ذاتها : لماذا لا يشدان هذه  
الحلقة ؟ على الأرجح هناك غرفة سرية تحت  
قدميهما .. يختبئان فيها حتى ينصرف الجنود ..

فعلاً كما قررا ، وكانت الغرفة بالفعل .. ثمّة  
درجات حجرية هابطة ، وثمّة ...

هنا حدث الشيء المتوقع ..

لقد انغلقت الفتحة فوق الرأسين الخائفين ..

وساد ظلام دامس ..

لكنه ليس دامساً جداً ..

حين بدأت عيناها تعتادان الظلام قليلاً استطاعا أن يدركا أنهما فى مقبرة على الأرجح .. ثمّة أجساد مكفنة .. مساخيط كما يؤمنان هما ، وموميאות كما نعرف نحن .. موميאות تجلس القرفصاء متراسة فى صفوف ملاصقة للجدران .. كل مقابر ( المايا ) تبدو كذا ..

لا بد أنهما ارتجفا ، ولا بد أنهما بدأا يبسملان ويحوقلان وهما يتحسسان طريقهما إلى الداخل أكثر ..

هنا سمعا صوت الذباب ..

ذباب .. ذباب كثير .. ملايين منه تحوم هنا وهناك وتصطدم بوجهيهما .. لم يكن هذا غريباً فى مقبرة ، وهما خشنان لايهتمان بهذه الحشرات كثيراً .. لكن ما لاحظاه هو أن هذه الجحافل غاضبة انتحارية قليلاً .. كأنما ضايقها أن يفتح أحد خلوتها ..

هناك ضوء خافت يأتى من مكان ما .. بالتأكيد هناك مصدر للضوء ..

- « تعال يا ( عيد ) .. لا بد من مخرج .. »

مصدر الضوء كان قاعة فى حجم صالة دارك لو  
كنت تسكن فى منزل متسع .. وكان مصدره  
مجموعة من المشاعل .. من أوقدها ؟ من يعنى بها ؟  
لا يمكن معرفة الإجابة ..

لكن هذه الغرفة كانت المصدر الأساسى للذباب ..  
ملايين منه تحتشد على الجدران .. تحلق ..  
تزحف .. تنزاع .. تنز .. تنز ..

والأهم هنا أن كل الذباب يأتى من مصدر واحد ..  
هذا المصدر هو ذلك الجسم الجالس فى صدر القاعة ..  
متوجسين لكنهما يعضيان بلا تفكير كأنهما فى مأساة  
إغريقية ، يدنو الجنديان التعسان من الجسد الذى  
لا تظهر معالمه من كل ما احتشد عليه من ذباب ..

بأيديهما الخشنة ينفضان الذباب عن ذلك الجسد  
ليتبين ما هو .. أو ما هو ..

هنا فقط دوت الصرخات ..

هنا فقط عرفنا ما كان تحت كل هذه الأسراب ..

★ ★ ★





یڈو اخیلوان لکھنؤ میں احمد علی خان لاہوری کے ساتھ  
مہ احمد علی خان لاہوری

## 6- شكوك ..

فتح لى السفاح الأصغر الباب .. فقلت له باسمًا  
مكشراً عن أنيابى :

- « هل ماما هنا ؟ »

نظر لى فى برود وكراهية ، ثم أوصد الباب فى  
وجهى بطريقة أقرب إلى الصفحة .. ووقفت حائراً  
نحو عشر دقائق لا أدرى .. هل أدق من جديد أم  
أنصرف ؟ وهل الأم غير موجودة أم أن الوغد  
الصغير لم يقل لها شيئاً .. أو هى موجودة ولا ...

بعد قليل ظهر لى ذلك الرجل الذى يشغل أهم  
منصب فى العالم .. كان منكوش الشعر يرتدى منامة  
من ( الكستور ) ذات خطوط طولية خضراء ، وأنا  
منذ نعومة أظفارى لا أثق كثيراً بالذين يلبسون منامة  
( كستور ) ذات خطوط طولية خضراء .. صافحنى بفتور  
ودعائى إلى الدخول .. فقلت له فى حرج :

- « معذرة .. إن الكتكوت الصغير قد فتح ولم .. »

- « منير!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!ه !! »

وقبل أن أسأله عن سبب الصراخ ما دمت لم أفعل شيئاً مشيناً ، ظهرت السيدة (منيرة) بوقارها الأسود ، فصافحتني وابتسمت ابتسامة شاحبة كأنما صار لنا سر صغير مشترك ..

كانت المقاعد مبعثرة غير مرتبة ، وكل مطافئ التبغ مليئة .. هذه آثار يوم العزاء السابق .. وهم يستعدون ليوم عزاء جديد .. لكن بعد الإفطار ، لهذا لم يفهموا سر حماستي المشبوبة للعزاء ..

طلبت من أخيها أن يذهب ليفطر مع الأطفال فرمقني بعين نارية :

- « تفضل لتتناول الإفطار معنا .. »

- « شكراً .. لقد سبقتك .. »

فاتصرف مع القراصنة .. هنا نظرت لها في جديّة وسألتها همساً :

- « قصة الميدالية هذه .. هل هي صحيحة ؟ »

ابتسمت وقالت :

- « هل وجدتها لديك ؟ »

- « بالطبع لا .. كنت نص ميداليات يا سيدتى لو  
كنت تفهمين ما أعنيه .. لكنى راغب فى معرفة كل  
شئى .. »

كانت فى بساطة وهى تعبت فى عنقها الشحيم :

- « لا يوجد ما تعرفه سوى ما قلته لك .. كنت  
أكذب عليك حين جئتك طالبة العون .. الحقيقة أنى  
كنت قد كونت فكرة عن الموقف بالتفصيل .. ولم  
يبقى لى إلا الخلاص من الميدالية .. »

- « كان بوسعك أن تعطىها لأى واحد .. »

- « أؤذى إنسانا بريئا ؟ ما كنت أحسبك بهذه  
القسوة ! »

هنا صعد الدم إلى رأسى ، ولا بد أن قلباً صغيراً

نبت هنالك على جبهتي حيث كان الوريد الذى  
يتوسطها .. وقلت بصوت هامس اقرب لصياح :

- « صحيح .. أنا لست بريئا .. نسيت هذا ! »

- « أنت برىء يعرف هذه الأشياء .. ماذا ما فكرت  
فيه ! »

أخذت شهيقا عميقا وتمايلت أعصابى .. لأسباب  
كهذه لا يتزوج الانكباء مثلى ..

- « من وضع فى ذهنك قصة الميدالية هذه ؟ »

- « أهل العلم .. لقد سألت أحدهم .. وقلت له إن  
كل شيء بدأ بعد عيد ميلاد زوجى الأربعين .. سألتني  
عن الهدايا التى تلقاها زوجى فى عيد ميلاده .. فقلت  
له .. هذه الميدالية رخيصة الثمن تلقاها مدية من  
خالته .. أول مدية تقدمها له ، منذ عشر أعوام ..  
لاحظ أن المراد الشمعدان كانت ترغب فى الزواجه  
ابنتها قبل أن يتوزى بسى ! والفتاة لم تسرور .. حتى  
اليوم . لقد استحققت لقب عانس منذ عشرة أعوام .. »

هنا بدأت أفهم :

- « إذن .. أنت تعتقدين أن هذا عمل سحري ..  
عمل تنتقم به الأم لابنتها من العريس الهارب ومنك .. »

- « أنت تعرف هذه الأمور خيرًا مني .. »

- « ولم تسألي نفسك لحظة لماذا لم يحاصر الذباب  
تلك المرأة ؟ »

- « لأنها كانت تعرف من البداية .. هذه الميدالية  
لا تعمل إلا مع شخص غافل .. غ .. ا .. ف .. ل ! »

حككت صلعتي الغافلة مفكرًا وسألتها :

- « لكني الآن أعرف .. »

- « لم تكن تعرف حين قبلتها مني وحين سرقتها  
لنفسك .. »

- « من قال هذا الكلام الفارغ ؟ »

- « أهل العلم كما قلت .. هم يعرفون هذه  
الأشياء .. »

- « ولماذا لم نلق حتى الآن الزبون السابق لخالة زوجك ؟ لابد أن هناك شخصاً ما حاصره الذباب . فأين هو ؟ »

- « علمى علمك .. لكن زوجى أخذ منها الميدالية وعانى وتعذب .. وحين أخذتها منه أخيراً وقدمتها لك كان الوقت قد فات .. »

رحت أفكر فى كلامها .. قصة معقدة جداً ، لكنها لا تخلو من إحكام .. ومعنى كلامها أن على أن أجد أبله يقبل الميدالية منى دون شك .. هذا بالطبع ما لم أكن مولعاً بالذباب ..

لكن من قال إن الميدالية معى ؟؟؟

الغريب فى التفكير السخيف غير المنطقى هو أنه مُعد .. سرعان ما تجد نفسك تفكر بالطريقة ذاتها .. أذكر مثلاً أننى كنت أنطق فى طفولتى لفظة (رقم) بشكلها الصحيح أى بتسكين القاف ، حتى وجدت نفسى وسط أناس يصرون على فتح القاف .. وسرعان ما وجدت أننى أفتح القاف بدورى .. أمس

سمعت مذيع نشرة يقرؤها بتسكين القاف فتأففت  
أذنى لهذا الخطأ !

حييت السيدة ووعدتها أن أفكر فى الأمر ، ثم  
انصرفت ..

★ ★ ★

موعد الغداء .. لن أنتهى أبداً من هذا الهم  
المقيم .. ينتهى الإفطار فتطراً مشكلة الغداء .. ينتهى  
الغداء فيكون السؤال : ما العشاء ؟ لعل الناس  
يتزوجون كى يجدوا من يزيح عنهم هذا العبء ..  
هذا من الأشياء التى تجعل السفر المرتقب إلى  
أمريكا محبباً للنفس .. إن تغيير الروتين مطلوب  
دائماً .

إما أن أذهب الآن إلى المطعم القريب وإما أن  
ألفق شيئاً بسرعة .. كانت هناك علبة أنشوجة  
أخشى أن أكلها من فرط ملوحتها .. ارتفاع ضغط  
فنزف مخى .. هذا أقل ما يمكن .. لكنها الحل الوحيد  
الآن ..



ذبابة سمجة .. إنها تلاحقنى كأننى تحولت إلى  
قطعة سكر فجأة ..

أفتح علبة الأنشوجة .. فى علم الأمراض يطلقون  
على خراج الكبد الأميبى اسم (منظر صلصة  
الأنشوجة) ، وهو تشبيه طبى شاعرى آخر مثل  
(منظر مربى الخطم) و (منظر القهوة باللبن) ..  
دعك من منظر (إسهال حساء الفاصوليا) .. تلك  
التشبيهات التى لا تشجع الشهية كثيرا . وهذا  
مايسمونه (علم أمراض الأطعمة الجاهزة  
DELICATESSEN PATHOLOGY) ، فلا بد أن الأطباء  
الأوائل كانت معدتهم من حديد ..

ذبابة أخرى .. غريب هذا .. وذبابة ثالثة ..  
لا أعتقد أن هناك مايجذب الذباب فى المطبخ ،  
لكن الطقس ليس مناسباً لهذا الزحام كله ..  
قمت بتسخين رغيف خبز من الثلاجة وجلست  
لأكل .. كنت فى الصالة لأتمكن من متابعة التلفزيون  
فى أثناء الطعام كما تعودت ..

ذبابة .. ذبابة ..

أخيراً بلغ منى السأم مبلغه فاتجهت إلى الحمام  
وأحضرت علبة المبيد إياه .. وضغطت على أسناني  
وأطلقت دفعة لا بأس بها على المائدة وعلى  
الأشوجة وعلى كل شيء .. لو مات الذباب فقط  
فهذا نصر ، ولو تسممنا ومتنا معاً فقد استرحت ..

ثم عدت أو اصل الأكل .. إن المبيد يعطيه مذاقاً  
محبباً .. ولكن ...

ذبابة أخرى !

هنا فقط بدأت أتوتر .. وشعرت بالشعر ينتصب  
على جانبي رأسي ..

ما معنى هذا ؟ هل يعنى ...

★ ★ ★

تأكدت من خلو غرفة النوم من الذباب وأخذت  
لنوم عميق .. قلت لنفسي إننى قد أصبحو صباحاً  
لأجد أنى فى وضع مثير للشفقة ، أو يتضح أن الأمر

كله نوع من (فتح القاف) فى كلمة (رقم) .. لقد  
أصابتنى الزوجة بالعدوى ، ولئن كان ما أصاب  
زوجها حقيقياً فهو ليس بالضرورة معدياً ..  
لكنى نمت برغم كل شىء .. ونمت جيداً ..

فتحت عيني فى الصباح لأجد أن الوضع لم يتحول  
إلى كابوس .. ثلاث أو أربع ذبابات فى غرفة النوم  
ليست مما يثير القلق ولو أننى لم أفهم بعد من أين  
أتت ..

لكنى إذ تأهبت للذهاب للعمل أدركت أن الأمر جد  
غريب ..

لا يوجد إنسان يحوم الذباب حوله كلما اتجه  
لمكان .. إلا لو كان هذا الرجل مجروحاً حياً ..

أنتم تعرفون تلك الكومة من القمامة الموجودة  
- كنصب تذكارى - قرب مدخل مستشفىنا .. لقد  
مررت جوارها للحظة .. هنا حدث شىء غريب . لقد  
بدأ الذباب يتخلى عن القمامة وبدأ يحوم حول رأسى  
ويتعلق بثيابى ..

لقد صارت الظاهرة رسمية إذن .. من الصعب أن  
أُتظاهر بالعكس ..

بالطبع لم أستطع التركيز فى عملى على الإطلاق ،  
لأن أذنى كانتا تطنان ، وكنت أعد عدد الذباب على  
معطف د . ( رأفت ) الأبيض بينما هو يكلمنى فى  
موضوع مهم .. وطلبت من العامل أن يرش الغرفة  
بالمبيد أكثر من مرة . كما لاحظت أن عنابر المرضى  
فيها ذباب أكثر من اللازم .. وجعلنى هذا عصبياً ..

الحقيقة أننى كنت أنهى الأمور الفرعية سريعاً  
استعداداً لسفرى إلى أمريكا ، وكنت سعيداً بفكرة  
الفرار من غد لا أعرف حقيقته جيداً ..

ترى هل أحمل معى الذباب إلى هناك ؟ لا أعرف ..  
لكن هناك شيئاً لا بد من عمله قبل أن أسافر ..

★ ★ ★

- « أريد الميدالية .. »

- « ليست معى يادكتور ( رفعت ) .. »

- « وهى ليست معى .. »

- « وليست معى .. أنا لا أهيىم بها حباً .. »

وساد صمت طويل على الهاتف .. أنا أتمنى أن أقول لها إنها كاذبة أو مجنونة وهى تتمنى أن تقول لى إننى أحمق وإنها ترجو ألا أتصل بها ثانية .. لقد انتهت علاقتها بهذه القصة للأبد ..

عدت أقول لها فى صبر :

- « مدام (منيرة) .. أعترف أن الذباب بدأ يتكاثر من حولى .. لا أعرف السبب لكن هناك حلاً واحداً لا أوأمن به .. أنت تعرفين أن الغريق يتعلق بقشة .. لابد من أن أجد هذه الميدالية بأى ثمن .. »

- « ستجدها عندك .. فقط ابحث هنا أو هنا .. »

- « لا توجد لدى مصلحة فى إخفائها بأى شكل .. لست رائق المزاج للعب دور الضحية الهستيرية .. »  
قالت فى إصرار وتعب ، وكأنما رأت ما يكفى من غياب الناس :

- « لا أقول إنك أخفيتَها عامداً .. لربما أضعتها .. »

عدت أفكر فى ضيق .. من الجلى أنها تؤمن إيماناً  
مطلقاً بأن الميدالية ليست عندها .. ومعنى هذا  
ببساطة وبحكم خبرتى بالناس أن الميدالية عندها ..  
كلما كان الأمر خطأ كانوا على ثقة بالغة بصحته ..

ذباة تحوم من حولى .. ذباة أخرى تتسلق  
سترتى ..

يجب أن أجد تلك الميدالية .. يجب ..

★ ★ ★

فى المساء رحت أعد الحقيبة ، وقد بدا لى أن  
الذباب سيكون من الأشياء المهمة التى آخذها معى  
على سبيل الذكرى .. ذباب الوطن الذى لا أستطيع  
الابتعاد عنه ..

هنا دق جرس الهاتف فهرعت أرد متوجساً ..  
كان هذا صوت السيدة (منيرة) تقول لى فى  
شئ من الحرج :

- « د. ( رفعت ) .. أنا آسفة .. يبدو أنك كنت محقاً .. »

- « أنا محق أكثر الوقت للأسف .. ولكن فى أى شىء ؟ »

بعد دقائق صمت قالت :

- « الميدالية عندى بالفعل .. لقد وجدتھا فى الشقة .. »

كاد يصيبنى ذلك النوع من الرثاء للنفس الذى يدفع المرء للبكاء بعد اكتشاف براءته ، وبصوت مختنق صحت :

- « ألم أقل لك ؟ »

- « آسفة .. صدقنى لم أتعمد أن أخفيھا .. »

طيلة الوقت ھى مرغمة على كل شىء .. مرغمة على إعطائى الميدالية لتخلص زوجها .. مرغمة على إضاعتھا بينما أحترق أنا فى أتون القلق .. والجميل هنا أنها ستنسى كل شىء عن ھاتين المحادثتين بعد

دقائق ، وفى المحادثة التالية ستقول لى إن ذاكرتها  
حديدية ولا تنسى على الإطلاق ..

– « أنا قادم .. »

قالت فى كياسة :

– « لا أرى إن كان الوقت مناسباً .. أنت تعرف  
أنه بعد وفاة زوجى ... »

صحت مغضباً وقد أوшك صوتى على بلوغها دون  
سماعة :

– « اسمعى .. ليس الوقت مناسباً للتظاهر  
بالأنوثة .. لقد تغيرت حياتى جذرياً منذ قابلتك  
والمرحوم زوجك .. وكنت أنت سبب أكثر هذه  
المصائب لو صح ما تقولين .. وقد فعلت هذا كله  
عامدة .. لهذا أريد هذه الميدالية الآن .. ولا أبالى  
بأية حجج تقال .. إننى مسافر فى الصباح .. »

ووضعت السماعة ..

وفى الطريق إلى دارها (كانت معى سيارة وقتها  
قبل حادث القرية إياه ) رحت أفكر فى غيظ .. إن



كمية الإيذاء التى سببتها لى هذه المرأة لأعظم من أن أدركها .. تعطينى ميدالية تعرف - أو تعتقد - أنها تسبب لعنة ما . ثم تضيعها ببلاهة .. ثم حين تجدها تقرر فجأة أن تلعب دور المحافظة التى تقدر ذكرى زوجها ولا تسمح للأوغاد - مثلى - بزيارتها بعد العاشرة مساء وهى فى بيت أهلها .. وليتها تفتح رأسى لتدرك أننى أفضل مصاحبة سرب من سحالى ( البازيليك ) على أن أراها مرة أخرى بوجهها المكتنز السمين المتظاهر بالوقار ..

فتح لى أخوها شديد الأهمية الباب وقبل أن أفتح فمى انطلق فى الصراخ :

- « منير!!!!!!!!!!!!!! اه !! »

ثم ظهرت هى من الداخل متظاهرة بالخفر والارتباك .. الآن تتظاهر بأن لها سمعة وأننى أسىء لها .. لهذا مددت يدى دون كلام .. فوضعت فيها الميدالية دون كلام هى الأخرى ..

سألته فى اشمئزاز وأنا أذب الذباب عنى :

- « أين وجدتها ؟ »

نظرت إلى أسفل إلى حيث كان السفاح الصغير  
ابنها يرمقني في شك وكرامية وهو يرسم حركات  
قبيحة بوجهه .. وقالت :

- « كانت في حاجيات (سامح) .. لقد وجدها على  
الأرض فاحتفظ بها .. لكن أخاه الأكبر (فتن) عليه  
وأخبرني .. »

نظرت للطفل .. طبعًا .. هذا شيء متوقع في هذه  
الأسرة المزعجة .. لن أندesh لو كان الفقيد يفضل  
صحبة الذباب على صحبة هؤلاء .. كل هذا ويتكلم  
عن حياة هادئة و « لقد نلت قدرًا من كل مسرات  
الكون » .. إن للناس أذواقًا غريبة ..

المهم أنى غادرت المكان والميدالية في جيبى ،  
وقلت لنفسى : على الأقل أنا أمسك بما يمكن أن  
يكون السبب .. هذا هو الخيط الوحيد لدى ...

سأسافر وأتخاشى الذباب .. ولدى عودتى سيكون  
لدى وقت كاف للتفكير فى هدوء ...

★ ★ ★

## 7- قارة أخرى ..

كانت المشكلة أقل في جامعة (بايلور) بـ (تكساس) ..  
لا أدري إن كان على أن أتكلم عن هذه الجامعة  
العريقة ، فأرتكب الخطأ الشائع لدى (سومرست  
موم) في قصصه ، حين كان يتكلم عن أماكن  
وشخصيات لن يكون لها أى دور في القصة بعد  
ذلك .. حسن .. يمكن القول إن جامعة (بايلور)  
كانت مجرد مرحلة تمهيدية لما بعدها ، لكنى أذكر  
فقط للتسجيل أن هذه الجامعة عريقة تعود لعام  
1845 ، ومركزها في (واكو) في (دالاس) التي تقع  
في شمال شرق ولاية (تكساس) ..

إن (دالاس) مدينة كبيرة .. هي ثانية المدن في  
ولاية (تكساس) بعد (هوستون) ، كما أنها ثامنة  
مدن الولايات المتحدة في ترتيب الحجم .. وتمتاز  
بعدد لا بأس به من الجامعات والمراكز الثقافية ..

لقد فرغت من اعترافى .. الآن يمكننى أن أموت  
مستريح البال !

أقول من جديد إن المشكلة كانت أخف وطأة هنا ..

ربما كانت الإجابة هى أن الذباب أقل ، وربما  
لأننى تصرفت بحذر بالغ .. كنت أتحاشى التنقل على  
الأقدام ، وأغلق زجاج السيارة التى أركبها ، وفى  
الفندق الذى أقيم فيه لم أفتح نافذة واحدة ، وهكذا لم  
أر النور ولا الهواء تقريباً لمدة ثلاثة أيام ..

قاعة المؤتمرات مكيفة موصدة .. قاعة الطعام  
مغلقة .. وهى حياة لا تنطق لكن يمكن تحملها لفترة  
قصيرة ..

ثم إنى ابتعت من إحدى الصيدليات نوعاً من  
الدهان الطارد للحشرات كلها ، ورائحته عطرية  
قليلاً .. فحرصت على أن أدهن به كل أجزاء جسمى  
المكشوفة : الوجه واليدين ..

لم أكن خائفاً من الذباب لكن من النظرات  
الفضولية ..

وخطر لى أننى خائف حقًا من معرفة المدى الذى بلغته المشكلة .. لربما وصلت إلى الذروة التى لا يمكن تصحيحها .. لربما لو خرجت إلى الهواء لوجدت نفسى فى ذلك المنظر المريع الذى رأيت به (مختار) فى شقته ..

لا أريد أن أعرف .. ليس الآن ..

من بين كل الأهوال التى رأيتها وسأراها كان هذا أخطرها .. إن حياتك وسط جحافل الذباب التى تقف على كل شىء وتحيل حياتك جحيمًا لأمر مروع حقًا .. أن تتحلل ببطء وأنت عاجز عن إيجاد حل .. فيما بعد قرأت لمخرج الرعب الكندى الفظ (ديفيد كروننبرج) تعبيرًا راق لى : إن أشد أهوال الرعب هى تلك المتعلقة بتحلل أجسادنا ذاتها ..

طبعًا لا يمكن أن آتى إلى الولايات المتحدة من دون أن أتصل بصديقى العتيد (هارى شيلدون) فى (فلوريد) ، الذى كانت لى معه قصص لا بأس بها .. هذا الفتى المندفع الذى يذكرك بأبطال الأفلام

المستعدين للشجار و ( الضرب ) فى أية لحظة ..  
وكما قلت ألف مرة من قبل : إن المواطن الأمريكى  
نفسه شخص لطيف المعشر على الأرجح ، حاضر  
الدعابة يمكنك أن تحبه بسهولة .. لكن للأمريكيين  
بعض العادات السيئة حين يحتشدون معاً ..

تمنى لى أن أنعم بوقت طيب واعتذر عن المجيء ..  
الحقيقة أننى كنت فى أمس حاجة إلى صديق قديم  
هنا ..

★ ★ ★

انتهى البروفسور الإسرائيلى (ديفيد كيمنسكى)  
من إلقاء محاضرتة .. إنه رجل قصير القامة أصلع  
أشكىنازى له عيانان ضيقتان سامتان وخصلة شعر  
أسفل ذقنه من طراز ( السكسوكة ) .. وأعترف هنا  
- من دون تعصب ولا تحيز - أننى لم أقرأ حتى اليوم  
بحثاً إسرائيلياً بارعاً .. هناك يهود كثيرون مبدعون  
لكن الصهاينة المتعصبين الذين يذهبون إلى فلسطين  
ليذبوا الأطفال ، هم على الأرجح بلا موهبة ..

إن قسدة الفكر والفن تفضل البقاء حيث هي في أمريكا وأوروبا حيث فرص الحياة والكسب أفضل .. بعضهم يكتفى بمعاونة الصهاينة بالمال أو التعاطف المعنوي ، وبعضهم - مثل ( أينشتاين ) و ( شابلن ) - استنكر فكرة إسرائيل ذاتها واتهمها بالتعصب والجنون ..

بعد المحاضرة كان الرجل يقف وسط مجموعة من مريديه يثرثر ويضحك ..

صافحته في حرارة وهنأته على كل هذه العبقريّة ، وقدمت له نفسى :

- « بروفيسور ( ريفات إيزميل ) .. أمى يهودية بولندية لكن أبى من أصول عربية .. لم أر إسرائيل قط .. »

- « هذا يفسر ملامحك .. تبدو ( منهم ) إلى حد كبير .. وهل تتكلم البولندية إذن ؟ »

- « لا .. كانت العربية والإنجليزية هما لغتا التخاطب فى بيتنا .. »

ثم جرنا الحديث إلى إسرائيل ، فراح يحكى لى عن  
تقدم العلوم بها ومدى الرقى الإنسانى الذى بلغته  
باعتبارها دولة غربية وسط الشرق الأوسط .. واحة  
من التحضر وسط صحراء بدوية قاحلة ..

كانت شفتاى ترجفان انبهاراً .. ورحت أشرب  
كلامه شرباً ..

بعد ربع ساعة كان قد تعب من الثثرة ، فانحنيت  
وطبعت على ياقة سترته قبلة محبة واحترام :

- « إننى أحيى فيك ( آرتز يسرائيل ) ذاتها ..  
الأسطورة التى صارت بفضل رجال مثلك حقيقة .. »

ثم بيد مرتجفة حماساً أخرجت الميدالية من جيبى  
وقدمتها له :

- « لا أجد شيئاً أقدمه لك إلا هذه .. إنها رخيصة  
الثمن عظيمة القيمة .. هى آخر مابقى من أُمى بعد  
المحرقة فى ( أوشفيتز ) .. لسوف تكون معك فى  
أمان .. »



ارتجف بدوره وأمسك الميدالية التى اشترتها خالة  
(مختار) له لتكيد لزوجته ، ودمعت عيناه تأثراً ، ثم  
دسها فى جيبه وقال :

- « سأحافظ عليها أيها العزيز .. أعدك بذلك .. »

حييته وابتعدت فى وقار ..

أخيراً تخلصت من الميدالية بطريقة خالية من  
الدماء .. ولكن هل يختفى الذباب بعد هذا ؟

★ ★ ★

فى الرابعة صباحاً صحت من النوم فى الفندق ،  
وقلت لنفسى :

- « أنت أحمق .. الطفل المزعج الذى اعتقد أن  
اسمه كان (سامح) .. لقد أخذ الميدالية وأخفاها فى  
حاجياته .. ولو كان موضوع الميدالية صحيحاً لزال  
الذباب عنك ليطارد الطفل ! »

نعم .. أنا أحمق .. ولن تختفى هذه اللعنة ..

★ ★ ★

حقاً لم يختف الذباب !!

حين غادرت الفندق مجرباً المشى الحر ، ابتعدت  
بضعة أمتار ، وكان الطقس حاراً إلى حد كبير ..  
لا غرابة في أن يكون الطقس هنا حاراً ، لكن هذا  
لا يبرر أن أرى كل هذا الذباب .. المارة ينظرون لى  
فى دهشة .. فتاة تنظر لى وتهز رأسها .. عاشقان  
يتوقفان عن الهمس وينظران لى بعيون مفتوحة ..

أقف لأجد أن نحو عشرين ذبابة - من المستحيل  
طبعاً أن تزعم أنك عدتها - تحوم حولى وتتسلق  
ثيابى ، وتمشى على عويناتى .. الأغرب أن الكثير  
منها يأتى من أماكن لا أعرفها ..

ورجل شرطة زنجى يدنو منى فى بطء .. لا يعرف  
هل هذه تهمة يمكن أن يعتقلنى بها أم لا .. فقط يقف  
وينظر لى ونظراتى الحائرة ، ثم يمد يده نحوى :

- « أوراقتك .. »

أخرجت له كل ما كان فى جيبى ، فنظر إليها نظرة  
لاتعى شيئاً ، وقال :

- « سيدى .. لا أريد أن أكون وقحًا ، لكن ربما أفادك حمام سريع الآن ! »

هزرت رأسى فى ارتباك ، وانطلقت عائداً إلى الفندق .

كنت أمشى بسرعة جعلت غيوم الذباب حولى  
تتبدد إلى حد ما ..

وعلى باب الفندق رأيت ذلك البروفسور  
( كيمنسكى ) واقفاً يثرثر مع فتاة حسناء .. لا يبدو أن  
ذبابة واحدة تحوم حول هذا الوغد .. رآنى فضم كفيه  
معا ولوح فى الهواء بمرح :

- « الرمز معى ! لا تقلق عليه ! »

صحت وأنا أجد السير كى لا أضطر للتوقف :

- « لا تتخل عنه أبداً .. إن روح أمى تخاديك ! »

فما إن دخلت حجرتى ، حتى بحثت عن مبيد  
الحشرات فأفرغت كمية لا بأس بها فى الهواء ،  
وأعدت دهان أطرافى بالدهان الذى يطرد الحشرات ..

وارتميت على الفراش مفكراً ..

إنه لمأزق مخيف ..

هل كتب على أن أمضى حياتى وسط سحب مبيد  
الحشرات حتى أموت بالسرطان ، أم أظل وسط  
الذباب ؟

إذن فرضية الميدالية كانت خطأ وكان على أن  
أتوقع هذا من السيدة ( منيرة ) التى لا يمكن أن تقدم  
حلولاً عبقرية لأى شىء .. فقط هى بنت مجموعة  
من الاستنتاجات الخاطئة التى لا تخلص من غير  
النساء و ( العمل ) وفكرة الخلاص من اللعنة بنقلها  
لشخص آخر .. وهى فكرة محببة فى وجداننا  
الجمعى .. ولأسباب كهذه كان مرضى الطاعون فى  
القرون الوسطى يقتحمون بيوت الأصحاء على  
أساس أن إصابة الأصحاء يمكن أن تشفيهم هم ..

فرضية الميدالية خطأ .. إذن لماذا يطاردنى الذباب ؟  
هل أصبت بعدوى ما ؟ وهل هناك مرض يسبب هذه  
الأعراض وقد أصبت به لدى زيارتى الرجل ؟

لا أفهم ..

حقاً أنا بحاجة إلى عقل آخر قبل أن أجن ...

★ ★ ★

عند السادسة مساءً دق جرس الهاتف فى حجرتى ،  
فرفعت السماعه ..

جاء صوت ( البورتر ) تقول لى بصوتها المهدب  
الرتيب :

— « د . ( إسماعيل ) .. هناك مكالمه لك من  
( نيويورك ) .. »

ثم جاء الصوت يقول :

— « د . ( إسماعيل ) .. أنا ( سام ) .. ( سام  
كولبى ) .. »

( سام كولبى ) ؟ هذا الاسم له رنين يهودى غير  
مريح .. من هو ؟

هنا عاد إلى شريط الذكريات .. ذلك النصاب اليهودى

الذى كان سبب لقائى بدكتور (لوسيفر) - وهى  
ليست خدمة جميلة جدًا كما تلاحظون - والذى  
جعلنى أضل فى عوالم (بو) الكابوسية .. اليهودى  
المرتبك البائس الذى يذكرنى بدعابتنا عن فقراء  
اليهود .. فلا هو خبيث بحيث يملك الثروة والنفوذ ،  
ولا هو برىء طاهر الذيل بحيث يستحق مكانه بين  
الأخيار ..

لكن أن يتصل بى هنا بالذات .. هناك معنى مريب  
لهذا كله ..

- « مرحبًا (كولبى) .. هل أجريت جراحة البروستاتا  
بعد ؟ »

قال فى إنهاك :

- « ليس بعد .. لا أثق بجراحى المسالك هنا ..  
لكن هذا ليس موضوعنا .. »

- « إننى أرتجف هلعًا من موضوعنا هذا .. »

- « أنا فقط مكلف بإبلاغك بشيء مهم .. هناك

زميل مخلص - وإن كان غريب الأطوار نوعًا -  
يدعى (جيمس موهون) .. إنه راغب فى لقاءك ،  
ولا أعرف السبب .. أرى أن تستقبله جيدًا وتصغى  
له بانتباه ، لأن غضبه ليس بالشئء المحبب  
للنفس .. ثم إنه رجل يعرف ما يريد .. »

فكرت للحظة .. غريب الأطوار ؟ (كولبى) نفسه  
يرى هذا الرجل غريب الأطوار .. فعلى ألا أندھش لو  
كان القادم بثلاث عيون أو يمشى على الجدران ...

- « هل اتصلت لهذا فقط ؟ ومن قال لك إننى فى  
الولايات ؟ وكيف عرفت الفندق ؟ »

- « هو ! »

ثم وضع سماعة الهاتف ...

★ ★ ★

بعد ساعة جاء (جيمس موهون) ..

ومن النظرة الأولى عرفت أنه رجل مخيف حقًا ..

## 8- (موهون) يعرف ..

اسمح لى أن أقدم لكم (جيمس موهون) ..

يمكنك أن ترى معى أنه رجل فارع القامة يرتدى قميصاً أسود وسترة سوداء وربطة عنق سوداء ، فلا يعكر كل هذا السواد إلا قلادة فضية ضخمة تتدلى على صدره .. له نظرات حادة ولحية منمقة تحيط بفمه على طراز (دوجلاس) كما يسميها الشباب .. يلبس حذاء أبيض شاهق البياض مما يذكرك بقتلة المافيا فى الثلاثينات .. فلو كان يحمل صندوق كمان يضع فيه بندقية آلية لاحتملت الصورة ..

وتوقعت فى أية لحظة أن يقول لى :

- « إن الأسرة تريدك .. يبدو أن (الدون) غاضب .. »

الحقيقة أن فيه الكثير من د. (لوسيفر) لكنى قد قابلت هذا الأخير كثيراً بحيث لا يمكن أن تختلط





يتمكنك أن ترى معي أنه رجل فارغ القامة يرتدى قميصاً أسود  
وسترة سوداء وربطة عنق سوداء ..

الأمر على .. فإذا أضفنا المظهر الغريب إلى اسم (موهون) الرهيب الذى لا يمكن أن يكون فى شهادة ميلاده ، إلى تقديم (كولبى) له .. يمكن القول إن هذا الرجل ساحر أو وسيط أو شىء من هذا القبيل ..

قال لى بلهجة تدل على أنه أمريكى جدًا :

- « أعتقد يا بروفيسور (إسماعيل) أن عندك فكرة عن قدومى .. »

كان صوته قويًا محببًا .. هناك أصوات تشعر أنها تؤكل ولا تسمع ..

قلت له وأنا أتأكد من غلق الباب :

- « واضح أن (سام كولبى) صديق مشترك .. »

قال فى هدوء :

- « أنا (جيمس موهون) .. لنقل إننى مهتم بالظواهر الخارقة للطبيعة .. »

- « ومن ليس كذلك ؟ »

قلتها محاولاً إفشاء روح الدعابة .. طبعاً لن يغيب  
عن ذهن القارئ أنني أصررت على أن يكون اللقاء  
فى غرفتى بالفندق .. هذا هو المكان الوحيد الخالى  
من الذباب أو الذى أستطيع السيطرة على دخول  
الذباب إليه ..

قال الرجل :

- « سأسمح لنفسى ببعض استنتاجات .. أنت  
عاجز عن مغادرة الغرفة .. أليس كذلك ؟ »

قلت فى عجب :

- « بلى .. ولكن ... »

- « وسأسمح لنفسى بافتراض أن الموضوع يتعلق  
بهجوم الذباب .. »

هنا فقط بدأت أتوتر .. جلست أمامه وفتحت فى  
فى بلاهة .. ها هو ذا السر العظيم يكشف أولى طبقات  
الغمام الكثيفة المحيطة به .. أنا متأكد من هذا ..

- « لنفترض أن هذا صحيح .. إذن ؟ »  
- « أعتقد أنني أعرف مشكلتك .. وإن كنت لا أزعم  
أننى أعرف حلها .. »

★ ★ ★

قال (موهون) :

- « كنت طيلة حياتى مهتمًا بأمر شعب ( المايا ) ..  
لأكون أكثر دقة كنت مهتمًا بأسرارهم الغامضة  
وسحرهم .. ونحن لسنا بعديدين عن المكسيك على  
كل حال .. الموطن الأصلي لهذا الشعب الباسل  
الغامض الذى بلغ ذروة حضارته فى القرن السادس  
قبل الميلاد .. »

« إن أساطير ( المايا ) كثيرة وأسرارهم لا تنتهى ،  
تنتظر الإماطة عن لثامها يومًا ما .. وهو ما لن  
يحدث على الأرجح .. »

« إلا أن هناك أسطورة جذبت انتباهى بشكل ما  
تتعلق بـ ( ملك الذباب ) .. أو ( رى دى موسكاس )

كما يقول القوم هناك بلغتهم الإسبانية طبعًا ..  
أسطورة حديثة نسبيًا هي ..

« هناك فى شبه جزيرة (يوكاتين) توجد أطلال  
مدينة (المايا) العظمى المعروفة باسم (تولوم) ..  
إن ذلك المبنى العتيق الواقف معروف للجميع .. إن  
اسمه معبد (فريسكو وكاستيلو) .. وهو من الآثار  
المهمة جدًا فى المكسيك .. يقال إن ملك الذباب  
موجود هناك .. مدفون هناك .. لكن أين ؟ لا أحد  
يعرف ..

« إن ملك الذباب شخصية غامضة .. ربما كان  
ملكًا بالفعل ، وربما كان ساحرًا أو طبيبًا ساحرًا ..  
لا أحد يعرف بالضبط .. فقط نعرف أنه كان موجودًا  
منذ قرون عديدة ، وكان يملك قدرة غير عادية على  
السيطرة على جحافل الذباب .. تحوم حوله .. تمتثل  
لأمره .. تهاجم من يريد .. وكان غضب ملك الذباب  
يعنى أن يهاجمك الذباب فلا يترك لك لحظة راحة  
واحدة .. إنه عقاب جهنمى لو فكرت فى الأمر ..  
عيناك تلتهبان .. طعامك يفسد .. جلدك يتقرح ..

فلا شيء إلا الموت البطيء ينتظرك بعد شهور أو أعوام ..

« إن ملك الذباب ساحر لكنه ليس خالداً ، وقد مات .. لا أعرف الطريقة التى استطاع بها القوم أن يدفنوه تحت المعبد .. لكن من عرفوا مكان الدفن لم يظلوا أحياء طويلاً .. يبدو هذا قاسياً لكن كانت هذه هى الطريقة الوحيدة كى لا يعرف أحد مكان القبر ..

« يؤمن القرويون حتى اليوم أن ملك الذباب يجلس هناك تغطيه تلك الأسراب الرهيبة .. ملايين منها .. وأن من يقلق راحته الأبدية ينل غضبه . يطارده الذباب فى كل صوب متى بلغ الأربعين من العمر أو تجاوزها .. ولسن الأربعين سبب مهم هو أن ملك الذباب لقى حتفه فى سن الأربعين ..

« اليوم يزور الناس المعبد ويلتقطون الصور فيه .. لكن القرويين - المسنين منهم خاصة - لا يجسرون على ذلك .. ويؤمنون أن الحظ العاثر سيجعل أحدهم يكتشف القبر .. عندها لن يستطيع أحد أن ينقذه .. »

هنا قاطعت الرجل وقد بدا لى كل هذا القدر من  
المعلومات أكبر من أن أستطيع ابتلاعه دون أسئلة :

- « لحظة .. القصة تبدو مألوفة .. لكن ماذا تقول  
عنى أنا الذى لم أر المكسيك فى حياتى ؟ »

قال فى نوع من نفاد الصبر :

- « لا تعتقد أننى سأنهى القصة دون أن أخبرك  
ما علاقتك بها .. »

وغير وضع ساقيه لتصير اليسرى على اليمنى ..  
كان طرف السروال يرتفع إلى منتصف ساقه فرأيت  
أنه يلبس حذاء طويل العنق يساعد فى إضفاء طابع  
الغرابية هذا ..

واصل السرد :

- « لا أستطيع أن أزعم أننى وسيط جيد .. لكن  
هناك أشياء غريبة تطاردنى منذ زمن .. كان هناك  
من يأتينى فى حالات السبات ليتحدث معى ..  
لا أعرف من هو .. لا أعرف حتى كيف يبدو .. فقط

كنت أشعر بوجود غامض مقبض كأنه الكابوس ،  
وكان يتبادل معى الحديث .. كنت أعرف طيلة الوقت  
أنه هو ملك الذباب نفسه ..

« عرفت منه الكثير عن الظلام .. عن قرون من  
الوحدة .. عن الذباب الصديق الذى لم يفارقه  
لحظة .. عن الصمت .. عن الموت .. عن المدنسين ..

« نعم .. كان هناك مدنسون .. بالتحديد اثنان  
منهم .. كانا من وطنك وكاتا يحاربان مع الإمبراطور  
الأخير فى حرب لانفع فيها لهما ، لكنهما كانا  
مسخرين .. »

كانت هذه أول مرة أسمع فيها معلومة كهذه وقد  
بدت لى سخيفة جداً ، لأننى لم أقرأ الفصل الخامس  
طبعاً ، فقلت :

— « هنا نتوقف .. لم يحارب مصرى واحد فى  
المكسيك .. هذا لا يتفق مع أبسط القواعد الجغرافية  
والتاريخية ! »

قال فى عناد كأنما يريد استكمال القصة سريعاً :



- « كان هناك فلاحان من وطنك عام 1867 .. أحدهما كتب عليه أن يموت بلا ذرية والآخر كان مصاباً بمرض عضال ، لكنه كان أباً .. وقد دنسا القبر عن طريق الخطأ لكن لعنة ملك الذباب لم تتركهما .. لقد ماتا جوعاً أو ظمأً أو مختنقين تحت أطنان الذباب .. لكن اللعنة حلت بالذى له ذرية .. واللعنة تحل بالأكبر من أبنائه وأبناء أبنائه كلما بلغوا سن الأربعين .. »

ملت إلى الأمام فى غباء محاولاً فهم معنى هذا كله ، فضحك فى نوع من القسوة وقال :

- « هنا نجد نوعاً من الحظ العاثر قابل ملك الذباب أو ( الشئ ) .. إن الابن الأكبر للرجل يموت فى مصر فى سن الثلاثين .. ثم يموت ابن الابن الأكبر فى السابعة والثلاثين .. وهكذا .. كل الأحفاد كانوا ينجبون مبكراً ويموتون مبكراً .. حتى ظهر الاستثناء الوحيد .. رجل فى الأربعين من عمره يعيش فى مصر .. لقد تحركت اللعنة التى انتظرت مائة عام .. وبدأ الهول يحاصر الرجل .. »

« هنا تدخل شخص ما بحماقة ، وأدت حماقته إلى  
تعجيل نهاية الرجل الذى جن وقتل نفسه .. هكذا  
تحولت اللعنة لتصيب ذلك الأحمق ، الذى منعها من  
أن تكتمل ..

« الأحمق الذى تدخل فيما لا يعنيه ..

« الأحمق الذى دفع الرجل من فوق حافة الجنون  
التي كان يتماسك فوقها ..

« الأحمق الذى عرفت أنه الآن فى الولايات .. فى  
هذا الفندق بالذات .. وأن (كولبى) يعرفه ..

« الأحمق الذى هو أنت يا بروفيسور  
(إسماعيل) .. »

★ ★ ★

– « لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !!

لا تطلب الإسعاف وإلا ستندم !! »

★ ★ ★

- « كل شيء بدأ بعد عيد ميلاد زوجي الأربعين ..  
سألني عن الهدايا التي تلقاها زوجي في ... »

★ ★ ★

سألت (موهون) وأنا أرتجف :

- « تريد القول إن (مختار) كان يدفع ثمن خطأ  
ارتكبه جد له عام 1867 ؟ وإنني أدفع ثمن محاولتي  
إنقاذه ؟ »

- « (مختار) ؟ هل كان هذا اسمه ؟ بالضبط ..  
أنت تفهمني جيداً .. »

- « ولو لم أتدخل .. هل كانت اللعنة ستصيب ابن  
(مختار) لو بلغ سن الأربعين ؟ »

بدل وضع ساقيه وقال في تودة :

- « لا أعرف .. هذا الجزء غامض .. انطباعي  
هو أن اللعنة تبدأ بالذباب لكنها لن تنتهي به ..  
لا أدرى حقاً .. ربما كان (مختار) هو نهاية الحلقة  
لو لم تحطمها أنت .. »

حقاً هذه خسارة كبرى .. إن الوغد الصغير ابن  
(مختار) يستحق نهاية كهذه ..

- « أنا لم أحطمها .. كلامك يوحى بأننى أقنعت  
الرجل بالانتحار .. »

- « ملك الذباب يرى ذلك ، وهذا كاف .. لا توجد  
محاكمات استئناف هنا لو كنت تفهم ما أعنيه .. »  
هنا سألت أول سؤال أردت أن أوجهه ومنعنى  
التهذيب :

- « وأنت ؟ ماذا تستفيد من إخبارى بهذا ؟ »

نظر لى فى حدة وقال :

- « أنا مجبر على طاعته .. لا أخفى عليك أننى  
أخاف هذا الشيء كثيراً .. هو طلب منى أن أقابلك ..  
وأن أخبرك بالمطلوب منك .. »

- « وما هو المطلوب منى ؟ »

- « إنه يريد أن يراك ! »

★ ★ ★

## 9- يجب أن تذهب ..

---

- « طلب أن يرانى ؟ »
- « نعم .. »
- « ذلك الشيء الذى يزورك ؟ »
- « نعم .. »
- « وهو فى المكسيك الآن ؟ »
- « واضح أنك ذكى حقاً .. »
- « قلت إنك لا تعرف مكانه .. »
- « لكنه يعرف مكانك .. »
- « ولماذا ؟ »
- « لا يهم أن تعرف أو أعرف .. المهم أنه هو يعرف .. »
- « وماذا لو لم أذهب ؟ »

— « لن يلومك أحد .. لكنك ستبقى حاملاً هذه اللعنة حتى النهاية المريرة ، وصدقنى لا أعتقد أنها بعيدة إلى هذا الحد ... »

★ ★ ★

كانت بعض الذبابات قد احتشدت فى الغرفة لا أدري من أين جاءت .. لاحظتها ولاحظها (موهون) .. لا أحاول أن أوحى بشيء لكننى أقسم إنه ارتجف نوعاً وبدا أكثر عصبية .. هذا الرجل يحتفظ ببعض آدميته .. قلت له باسمًا :

— « لا تخف .. هذا ذباب منزلى عادى من طراز (ماسكا دومستيكا) الوديع .. لا هو ذباب مقابر ولا (تسى تسى) ولا أى شيء .. لقد خطر لى هذا كثيرًا ، واصطدت ذبابة فحستها بالعدسة .. »

هز رأسه وغمغم :

— « لا تستطيع ان تكون متأكدًا جدًا .. ولا تستطيع أن تكون حذرًا أكثر مما يجب مهما حاولت .. »

وكننت أفهمه .. لهذا تشعر أن الأرض التى زحف عليها الثعبان صارت ملوثة للأبد .. لهذا اعتقد القدماء عندنا أن البرص (بفتح الباء) ينجم عن مرور البرص (بضمها) على جلدك .. إن الخوف من الزواحف والحشرات هو فوبيا أخرى لا تفسير لها ، ولا تخضع للمنطق .. فما بالك إذا كان الذباب شيطانيًا أصلاً ..

سألت الرجل وأنا أفكر فى عمق :

- « أنا لم أذهب إلى المكسيك قط من قبل .. »

- « هذه فرصة جيدة لتجرب . ولا تنس أنها على حدود هذه الولاية .. أى أنك تستطيع السفر بالسيارة إذا أردت .. سأرتب لك كل شىء .. »

- « ولماذا ؟ »

- « لأنه أمرنى بهذا وأنا كما قلت أخشاه كثيراً .. »

لم يكن السفر تحت رعاية قاتل المافيا هذا مما يطمئن النفس ، لكنه على الأقل شخص مألوف .. الآن صار مألوفًا ..

كنت أعرف أنني سأسافر .. السبب هو أن قصته متكاملة منطقية حتى هذه اللحظة .. لا توجد ثغرات .. هذا يعنى أنه صادق .. وأنا فى ورطة حقيقية لا أعرف كيف أتخلص منها .. الآن قد يقدم لى هذا الرجل الحل أو يقربنى منه فكيف أرفض ؟

- « متى أذهب إذن ؟ »

- « غداً صباحاً لو أردت .. »

★ ★ ★

فى الصباح كنت أتجه إلى المكسيك .. الأمر الذى بدا لى غريباً .. وتساءلت : ماذا لو لم أكن فى (تكساس) أصلاً حين اتصل ذلك (الشىء) بـ (موهون) ؟ هل كان سيطلبنى بالسفر من مصر إلى المكسيك خصيصاً ؟ إذن هذا مسخ من الطراز الذى لا يحاول تضييع وقتى أو جهدى أو مالى .. لقد وجدها فرصة مناسبة لى كى أقابله (بالمرة) مادمت هنا .. وتكلفة الرحلة ليست باهظة على كل حال لأن المسافة قصيرة ..

ماذا أقول لكم عن المكسيك ؟



فى الحقيقة لم أرها .. أكون كاذبًا لو قلت هذا ،  
لأننى اخترت أن أراها فى أعنف فترة من تاريخها  
الحديث .. وهو شىء معتاد بالنسبة لى على كل  
حال .. كيف تتصور أن أزور المكسيك فى فترة  
هدوء أو استقرار ؟

لقد كانت شوارع العاصمة فى ذلك الوقت ( لا بد  
أنه كان عام 1969 إذن ) تعج بمظاهرات الطلبة ضد  
الرئيس ( دياز أورداز ) .. وعلى الأرجح كان هذا  
جزءًا من ثورة الشباب فى العالم كله .. لأن أوروبا  
كانت تغلى بدورها فى هذه السنوات الحاسمة  
بالذات ..

وقد حاول سائق السيارة أن يشرح لى القصة  
لكنى لم أفهم .. كيف يبالى رجل لا يجرؤ على فتح  
زجاج سيارته خوفًا من الذباب ، بأن يعرف سبب  
ثورة الطلاب ؟

إن انطباعنا عن المكسيك دومًا هو الثورات  
والرجال الذين يلبسون قبعات ( السمومبريرو )  
ويحتسون ( التاكيلا ) ويقذفون القنابل طيلة اليوم ..

كان كل مكان متوترًا ، وفى كل ركن رجل أمن  
مستعد لإطلاق الرصاص دون مناقشة .. وقد أسعدنى  
الحظ برؤية مظاهرة كانت الشوارع فيها تشتعل  
نارًا ، ثم ظهرت قوات الشرطة على خيولها وراحت  
تطلق الرصاص فى كل صوب .. وبصعوبة استطاع  
سائق السيارة أن يبتعد بنا فى شارع جانبي قبل أن  
تصيبنا رصاصة ما ..

ولأسباب كهذه كادت الألعاب الأولمبية التى أقيمت  
فى ( مكسيكو ستى ) عام 1968 أن تلغى ..

طبعًا انتهت هذه الاضطرابات عام 1970 بتولى  
( لويس إيفاريز ) منصب رئيس الجمهورية ..

يجب أن أقول هنا إن هذه الاضطرابات كانت انعكاسًا  
خارجيًا لحالتى الشخصية .. كنت أشعر بأن العالم  
ينتهى بالفعل .. قتال فى الخارج وحرب ضروس فى  
الداخل .. كأنما الطلبة يتظاهرون مطالبين بحل  
مشكلتى مع ملك الذباب هذا ..

مشكلتى الشخصية كانت تنغص على كل شىء  
بحيث فقدت أية قدرة لى على الملاحظة أو الاستنتاج ..

وبدا لى أنه لو تبخرت المكسيك كلها فالأمر لا يعنينى كثيراً ..

على كل حال كان انطباعى الأساسى عن البلد أنه كئيب خائق .. ويمكن بسهولة فهم محاولات المكسيكيين الفرار عبر الحدود إلى الحام الملون باهر الألوان الواقع على حدودهم ، والمسمى بالولايات المتحدة .. كأن الحدود هى سد يمنع فيضان الثروة من أن يسيل ليغمر الجانب الجنوبى من الحدود .. أو يمنع فيضان الفقر من أن يغرق الجانب الشمالى منها ..

إن الثقافة الإسبانية موجودة فى كل مكان ، والسبب أن الإسبانى السفاح ( كورتيز ) هو أول من غزا هذا البلد عام 1519 تاركاً وراءه طريقاً طويلاً من الطرق التى تتركها الحضارة .. طريقاً من الأطراف المبتورة والرءوس المقطوعة والبطون المبقورة والعيون المثلومة .. هذا هو ثمن التحضر الباهظ لكن المستعمر الغربى كان يتولى مهمته فى صبر وتواضع ، وحقاً لم يقتصد الأخ ( كورتيز ) فى الرءوس التى قطعها من أجل التحضر ..

أما عن رحلتى إلى شبه جزيرة ( يوكاتين ) فحدث  
ولا حرج ..

إن البلد شديد الوعورة .. عبارة عن منحدر بين  
سلسلتين من الجبال : ( سيرا مادري أوكسيدنتال )  
وتحدّها غرباً و ( سيرا مادري أورينتال ) وتحدها  
شرقاً .. إن من عشقوا أفلام رعاة البقر القديمة مثلى  
يجدون فى اسم ( سيرا مادري ) إثارة خاصة .. المهم  
أن السلسلتين تلتقيان فى سلسلة جبال بركانية  
اسمها ( سيرا مادري دل سور ) ..

تقع شبه جزيرة ( يوكاتين ) فى الطرف الجنوبى  
الشرقى من البلاد وهى منخفضة .. وهذا يرحم رئتى  
قليلاً لحسن الحظ ..

يجب أن أذكر هنا أنها هى أول جزء تم اكتشافه  
من ( المكسيك ) عام 1517 على يد ( فرانسيسكو  
فرناندز دى كروندوبا ) ..

أخيراً وصلنا إلى ( يوكاتين ) ..  
وكانت أطلال ( تولوم ) تنتظرنا ...

★ ★ ★

## 10- تولوم ..

لم أكن أعرف حرفاً من الإسبانية ..

لهذا كان معى مرشد مكسيكى يجمع بين الإنجليزية والإسبانية .. إنه يشبه (كانتيفلاس) الممثل المكسيكى الكوميدي فائق الشهرة ، وإن كنت أستبعد أن تكونوا رأيتموه فى أى فيلم من قبل .

اسمه (إميليو) .. هذا كاف على ما أظن .. يبدو لى أن كل المكسيكيين اسمهم (إميليو) .. فتى نحيل أسمر يلبس صندلاً ويضع على كتفه تلك العباءة التى يسمونها (بانشو) ، وله وجنتان بارزتان تميزان جنس الهنود هنا .. كلا .. لا يلبس قبعة وإلا بدا الأمر مبالغاً فيه !

المشكلة هنا هى أننى غير قادر على طلب العون من أحد .. لا أحد على الإطلاق .. أولاً لن يصدقنى أحد ، ولن يسمحوا لى بالعبث فى آثارهم ..

أقول إننا وصلنا إلى أطلال (تولوم) الرهيبة قرب  
الغروب .. وليس هذا الموعد نكاية فى النفس كما  
تفعل أفلام رعب (هامر) حين لا يحلو قتل مصاص  
الدماء إلا فى هذه الساعة بحيث يصير استيقاظه  
حتمياً .. الفكرة فى هذا الموعد أن حركة السياحة  
تقل جداً .. ويخلو الوادى المخيف حول المعبد ، من  
ثم لن يوجه أحد لى أسئلة فضولية ..

الذباب يحتشد حولى بشكل مريب ، برغم أطنان  
الدهان طارد الحشرات التى دهنت بها نفسى ..  
والفتى كان مندهشاً .. هذه المرة بعدما غادرنا  
السيارة المغلقة كان مندهشاً ..

المعبد ينتظر .. وأنا أتجه إليه فى صمت حاملاً  
حقيبتى ..

المعبد ينتظر وضوء الغروب الأرجوانى يلون كل  
شئ ..

المعبد ينتظر وكذلك الفتى المكسيكى الذى جاء  
معى ، ببساطة لأنه خائف ..

ببساطة لأننى لا أريد شهودًا ..

فقط قال كلمة واحدة :

- « رى دى موسكاس ! »

لم أطلب أى نوع من الترجمة .. هزرت رأسى  
موافقًا وأشرت له كى يقف حيث هو ، واتجهت إلى  
المعبد .. لم تكن خطواتى شجاعة كخطوات الأبطال ،  
لكنها كذلك لم تكن خطوات دجاجة مريضة .. إن  
مشكلتى يجب أن تنتهى الآن أو أموت ..

لقد قلت له قبل أن أنصرف :

- « على الأرجح سأعود بعد نصف ساعة .. لكن  
لو لم أعد انتظر نحو ساعة أخرى ثم انصرف ..  
انس أنك قابلتني .. »

كانت هذه الكلمات الغامضة مما زاده رعبًا  
وتطيرًا .. ولا أخفى عليك حقيقة أنى كنت مستمتعًا  
بكل هذا الغموض إلى حد ما .. مازال من الممكن أن  
تجد طفلًا سخيلاً داخل كهل يوحى بالوقار ..

المعبد ينتظر .. وأنا أتجه إليه فى صمت حاملاً  
حقيبتى ..

المعبد ينتظر وضوء الغروب الأرجوانى قد صار  
أزرق ..

المعبد ينتظر وكذلك أنفاسى ..

★ ★ ★

الآن أدخل المعبد القديم ..

لم يكن مكاناً مهجوراً أو منسياً .. لابد أنه كان  
يعجّ بالسياح منذ ساعتين لا أكثر .. لكنه الآن خال  
تماماً ، ومن الواضح أن المكسيكيين لا يعينون خفراء  
لحراسة هذه الأماكن ليلاً ..

الحقيبة تتدلى على ظهرى ، فأخرج منها شيئين :  
قرص النيتروجلوسرين تحسباً لما لا تحمد عقباه ،  
وكشافاً أهتدى به فى هذا الظلام الذى صار دامساً ..  
أمشى فى طرقات المعبد بين الجدران .. شاعراً



بخيبة أمل .. هذه المعابد لا تمثل ربع قيمة أو جمال  
معبد ( الكرنك ) عندنا مثلاً .. ربما كانت المايا  
حضارة عظيمة ، لكنهم بالتأكيد لم يكونوا بارعين فى  
هذه الأمور .. هذا المكان لاقيمة له إلا القدم ..

ترى متى ينادينى الأخ ( موسكاس ) لو كانت قصة  
( موهون ) صحيحة ؟

لم يحدث شيء .. ومن الجلى أننى لو جبت المعبد  
كله فلن أجد شيئاً ..

هكذا رحت أجول كالمجنون .. وقدرت أنه لو طال  
الأمر أكثر من نصف ساعة فلسوف أعود إلى الأخ  
( إميليو ) وأنسى القصة كلها ..

لكن أذننى تلاحظ تغيراً فى طنين الذباب الذى يحوم  
حولى ..

يتعالى .. يتعالى ..

ثم يهدأ .. يهدأ ..

يتعالى .. يهدأ .. يتعالى ..

هنا بدأت فى رعب أفهم ..

إنه يمارس معى تلك اللعبة القديمة حين كنا نخبئ شيئاً ما من أحد أصدقائنا ، ويدخل هو المكان باحثاً عنه معتمداً على أزيئنا .. كلما تعالى الأريز كان معنى هذا أنه أقرب إلى الشيء .. وكلما انخفض كان معنى هذا أنه يبتعد ..

رحت أتحرك فى حذر معتمداً على عداد (جايجر) المصنوع من الذباب هذا ..

هنا .. هنا أعلى نقطة للصوت ..

إن المكان يقع إلى جوار عمود حجرى متآكل ..

جثوت على ركبتى وتفحصت الأرض .. كانت عليها طبقة كثيفة من الأتربة والصخور ، لكنى بين هذه الصخور تمكنت من رؤية المقبض ..

يا إله العالمين ! هذا صحيح إذن !

رفعت المقبض بصعوبة ، لأنه من الواضح أنه لم يفتح منذ دهور ..

أسلط الكشاف فأرى درجات سلم قديمة .. لأشك فى أن (كارتر) وجد درجات مشابهة فى قبر (توت)

عنخ آمون ) وإن كانت بالتأكيد أفضل حالاً .. لم يكن  
عددها كثيراً لأن القاع كان على بعد ثلاثة أمتار ..

ولما كنت أعرف طالعى جيداً ، فأنا أعرف أن هذا  
الباب ينتظرني كي ينغلق .. هذا ما يحدث معي دوماً .

لهذا بحثت في حقيبتى حتى وجدت الحبل الغليظ ،  
فأخرجته ولاهثاً ربطت طرفه إلى المقبض ، والطرف  
الآخر شدته جيداً ولففته حول العمود الحجرى ..  
لأبأس .. هكذا لن تكون هناك مفاجآت ..

فلنهبط ..

★ ★ ★

مقبرة (مايا) .. وكهل أحرق أصلع الرأس ينزل  
فيها وحيداً .. لو رأيت هذا الكابوس فى منامى  
لسخرت منه .. لكنى بالفعل أمارسه الآن ..

أسلط الكشاف من حولى .. هنا أرى ..

أرى المشهد الكلاسى القديم الذى كنا نراه فى  
صور مقابر (المايا) و (الإزتك) .. المومياءات



مقبرة ( مايا ) .. وكهيل أحقق أصلق الرأس ينزل فيها  
وحيدا ..

الجالسة فى صفوف وقد ضمت أرجلها وأذرعها إلى  
الرأس .. كأنما رجل يجلس القرفصاء ويسد أذنيه  
كى لا يسمع .. عشرات منها .. بل مئات .. كأنما  
تحرص جانبى الممر ..

لشد ما تعطى الظلال انطباعاً بالحركة !!

صوبت الكشف إلى الأرض فرأيت آثار أقدام ..  
أما الأهم فكان هيكليين عظميين مفتتين .. تناثرت  
عظامهما فى إهمال كأنما سقطا من وضع واقف ..  
وثمة بندقية عتيقة مغطاة بالغبار إلى جوار أحدهما .  
لا أحتاج إلى دليل سياحى كى أعرف عظام من هذه ..

**« نعم .. كان هناك مدنون .. بالتحديد اثنان  
منهم .. كانا من وطنك وكانا يحاربان مع  
الإمبراطور الأخير فى حرب لا نفع فيها لهما ،  
لكنهما كانا مسخرين .. »**

هذا هو ما قاله (موهون) ، ومن الواضح أنه  
بارع حقاً .. أو دقيق جداً فى نقل ما يسمعه ..

كنت قد اتخذت قرارى .. أنا لا أحب هذا المكان ..  
وأعترف أننى أخشى هذه المومياوات كثيراً .. أنت

توافقنى على ذلك .. هذه المغامرات لم تخلق  
ليخوضها واحد ولكن ليخوضها فريق .. أعرف أن  
هذا غير منطقى وغير علمى ، وأن الموميאות  
لا خطر منها ، لكن ما ذنبى إذا كان قلبى وساقى  
لا يستجيبان للمنطق ؟ سأرجع الآن بلا مناقشة ..

### « اقترِب أيها الغريب »

من قال هذا ؟؟ لا أحد .. وحتى لو قالها أحد فلن  
يقولها بالعربية ..

### « اقترِب .. اقترِب .. »

إنها فكرة تتردد فى ذهنى .. فكرة مجردة .. لكنها  
مدوية كأنما هى صرخة فى بهو فارغ ..

وأنا لأحب استعمال كلمة ( غريب ) هذه لأنها بالفعل  
توحى بالغربة .. توحى بالتعالى الثلجى .. يمكن لهذا  
الشيء أن ينادينى باسمى وهو بالتأكيد يعرفه ..  
لكنه غير راغب فى هذا القدر من الألفة طبعاً ...  
وجدت نفسى أمشى كالمخدر إلى تلك القاعة ..  
القاعة التى يأتى منها النور الخافت ..

## كراش !

هذه عظمة تهشمت تحت حذائي قطعاً .. لا بد أنه  
ضلع .. ضلع فلاح مصرى كان من مائة عام يقف  
وقفتى هنا ، ويفكر ذات أفكارى ..  
هذه المشاعل ..

عشرات منها على الجدران .. وقاعة صغيرة فى  
حجم صالة دارك لو كانت دارك متسعة ..  
من يشعلها ؟ من يعنى بها ؟

لكنك لاتجد وقتاً للتفكير لأنك تصاب بالهلع من كل  
أسراب الذباب هذه .. أسراب من كل شكل ولون تحوم  
حولك وتحاصرك .. لكنك تدرك أنها جميعاً تأتى وتتجه  
إلى جسم لا يمكن أن تفهم ما هو يجلس فى ركن  
المكان .. يبدو أن هذا مقعد مرتفع أو منصة ..  
مستحيل أن تعرف لأنه مغطى بطبقة سميكة من  
الذباب . وتذكرت ما قرأته يوماً عن أنه إذا كتب لذكر  
وأنثى من الذباب الإجاب بحرية ، ولم يقض على  
ذريتهما ، فإنه بعد عامين يكونان قد غطيا الكرة

الأرضية كلها بطبقة سمكها سنتيمتر من الذباب ..  
هذا الذباب واضح أنه ينعم بوقته حقاً ..

مهما كان ذلك الشيء الذى يغطيه الذباب فهو  
ميت ..

لا يتحرك ..

★ ★ ★

مددت يدي إلى الحقيبة ..

أخرجت زجاجة الكيروسين ، وعلى بعد متر رحت  
أنثر السائل قوى الرائحة على هذا الشيء فى  
الركن ، والذى لا أعرف ما هو .. أنثر .. أنثر عليه  
وعلى الذباب ..

فرغت الزجاجة فأخرجت أخرى ، ورحت أنثر السائل  
على الأرض وفى كل مكان ..

لو سمعت فى هذه اللحظة صوتاً يقول لى :  
لا تفعل أيها الغريب .. لمت ذعراً ..

لكن هذا لم يحدث .. أحمد الله على أنه لم يحدث .



كنت قد وصلت إلى باب القاعة فوقفت هناك ..  
أخذت نفساً عميقاً ثم تناولت أحد المشاعل المعلقة  
على الجدار ، وألقيت به على السائل ..

راحت شعلة زرقاء صغيرة تزحف فوق السطح  
البراق .. الذى بدأ يغلى ..

وبعد دقائق كانت الشعلة قد تحولت إلى نيران  
تغطى على كل شىء ..

ابتعدت أكثر بينما الذباب المحترق يتطاير نحوى  
مغضباً .. وذلك الشىء فى الركن يتحول إلى جذوة  
وينهار ببطء ..

كانت النيران تلقى ضوءها الخافت على طابور  
الموميאות المتراسة بالخارج ، وخطر لى أنها لو  
كانت مخصصة للحراسة فقد حان الوقت كى  
تنهض .. ترى هل أتخيل أم أنها تتحرك فعلاً ؟

لكن هذا لم يحدث لحسن الحظ ..

يا أحمق .. كف خيالك المريض لحظة .. الموتى  
لا ينهضون ...

اتجهت إلى أسفل الدرج ونظرت لأعلى .. كان  
المدخل مفتوحاً كما هو ..

صعدت في الدرجات المعدودة ..  
وفي النهاية وجدت نفسي في المعبد ، وإن كانت  
أضواء النيران القادمة من أسفل تدل على أن اللهب  
بلغ ذروة مجده .. لا أعتقد أنه سيغادر القاعة على  
كل حال ليمسك بالموميאות .. لا أريد أن أحرق جثة  
أبداً حتى لو كانت من ( المايا ) وإن كنت استثنيت  
ملك الذباب ذاته لأسباب لا تخفى على أحد ..

أغلقت الفتحة ودست عليها جيداً .. وشعرت كأنما  
أولد من جديد ..

ونظرت لساعتي ...

لقد قضيت بالداخل خمساً وعشرين دقيقة .. هذا  
معناه أن الفتى ينتظرني بالخارج ..

ولكن هل تخلي الذباب عني ؟

★ ★ ★

## الخاتمة ..

---

كان يقف هناك فى ضوء القمر ..

ولما كان القمر وراءه فقد كان جسده محددًا  
باللون الأسود بدقة على صفحة السماء بطريقة  
( السلويت ) .. فقط ترى حدوده الخارجية ..

كلا .. ما كان هذا هو الفتى مرافقى ..

\*\*\*

كان طويل القامة قوى البنيان .. وأدركت أن  
الأشياء البارزة من رأسه هى على الأرجح قبعة من  
ريش يضعها هناك ..

كان يرفع ذراعيه لأعلى كأنما يستمطر السماء ..  
ومن الوهلة الأولى أدركت أنه من الأفضل ألا  
أقترب .. ربما كان من الأفضل أن أرقد على بطنى ..  
أنت تعرف الأشياء غير المريحة حين تراها ..  
لكن هل كان يرانى ؟

كان يضحك بصوت عال .. صوت مدو رهيب ..  
يتجاوب مع الصدى فى الوادى .. ومن عدة أماكن  
دوت ضحكات الضباع ..

ثم رأيت أن أشياء عديدة تحتشد من حوله ..  
أشياء مشتعلة صغيرة كأنها فراشات الذهب .. إنها  
تتجمع عليه .. تقف على كل موضع من جسده ..  
إنه الذباب ..

يفر من المقبرة ليلتف من حوله .. يرقص رقصته  
المجنونة ..

الرجل يضحك .. والضباع تضحك ..  
ومن للمعد بدأ الدخان يتصاعد ليجعل المشهد ضبابياً ..  
ثم - فى تودة - ابتعد الرجل نحو الأفق .. وقد صار  
الذباب يحيط به كأنما هو سحابة كثيفة تحيط بجبل ..  
والمخيف هنا أن أكثر الذباب كان يحترق ويتهاوى  
لكنه مصمم على أن يطير فى رحلته الأخيرة هذه ..  
والرجل يبتعد ..

★ ★ ★

- « هل حرقت البقايا يا سيدى ؟ »

جعلنى سماع هذه الكلمات أثب متراً فى الهواء ،  
وشعرت بضربات قلبى تختلط ببعضها .. ضربات  
زائدة .. تسارع فوق بطينى .. إيقاع جيبي .. إيقاع  
عقدى .. كل اضطرابات ضربات القلب الموجودة فى  
الكتب شعرت بها فى هذه اللحظة ..

ونظرت للوراء لأجد أن الفتى ( إيميليو ) على بعد  
متر منى يتوارى وراء صخرة .. وكان الرعب فى  
عينيه ربما أكثر منى ..  
قلت له :

- « نعم يا ( إيميليو ) .. أنا حرقت بقايا ( ملك الذباب ) .. »

- « كان هذا خطأ يا سيدى .. »

وابتلع ريقه وهمس بإنجليزيته العجيبة :

- « هناك رجل له لحية قصيرة ويرتدى بذلة سوداء ..  
وقف هنا طويلاً بانتظارك على ما يبدو .. وكان على  
أن أتوارى فى أى مكان .. فجأة اهتزت الأرض نوعاً  
ثم بدأ دخان قليل يتصاعد من المعبد .. هنا رأيت  
الرجل يتغير .. أقسم بكل القديسين إنه كان يتغير .. »

ورسم على صدره الصليب ، وأردف :

- « استطالت قامته وانتفشت عضلاته .. ثم راح ينزع ثيابه .. وخيل إلى أنه وضع قبعة من الريش على رأسه .. كان يضع حول صدره وفي معصميه عشرات الحلى .. ثم رأيت الذباب يأتى من كل صوب ليحتشد حوله .. لقد صار ( رى دى موسكاس ) ..

- « هنا ظهرت أنت .. لكنى لم أستطع إنذارك .. »

قلت له همساً :

- « وكيف عرفت أننى حرقت البقايا ؟ »

- « يقول أجدادى إن هذا يجعل ملك الذباب يتحرر ليعيش فى جسد واحد من الأرضيين . ومن حظنا الذى كان حسناً أن أحداً لم يجد القبر قط .. من يجد القبر تهاجمه اللعنة وأسراب الذباب فلا يجد تحرراً إلا بالموت أو بحرق البقايا .. وهذا يحرر ملك الذباب من جديد .. »

نظرت له فى غباء .. ثم همست :

- « هل يمكننا أن نعود الآن أم أن المنطقة خطيرة؟ »  
- « أعتقد أن بوسعنا الفرار بشكل ما لو كنا  
سعيدى الحظ .. »  
وقد كنا ...

★ ★ ★

فى أثناء عودتى إلى (تكساس) كنت غارقاً فى  
الأفكار السوداء ..

طبعاً لاخلاف على أن الرجل الذى (له لحية  
قصيرة ويرتدى بذلة سوداء) هو (موهون) ذاته ..  
وهكذا يكون قد تحول إلى ملك الذباب هو نفسه ..  
فلماذا جاءنى وحكى لى تلك القصة ؟ لأنه كان مكلفاً  
بأن يتحول إلى الملك الجديد .. وهذا معناه أن الأمر  
كله كان مقصوداً كى أجد نفسى أمام الجثة .. عندها  
هل أحرقتها بكامل إرادتى ؟ كان الرهان أننى سأفعل .  
وقد فعلت ..

يمكن أن نتصور أن اللعنة كما يلى : اللعنة تحل

بمن يدنس المقبرة .. ثم أولاده وأحفاده إلى أن يأتي  
أحدهم إلى المقبرة ويحرق الرفات ويفعل ما عجز  
عنه الآخرون .. هنا ظهر أحمق يدعى (رفعت  
إسماعيل) قادم إلى الولايات المتحدة قريباً .. وهذا  
الشخص يصلح لينتقل الذباب إليه . الطريقة الوحيدة  
للخلاص هي أن يزور المعبد .. وأن يحرق البقايا  
باختياره الخاص ودون توصية من أحد ..

هذا هو الخطأ الأعظم الذى يحرر الكابوس من  
محبسه ..

والآن لا أريد أن أفكر فى أطلال (تولوم) التى  
يجول فيها ملك ذباب جديد منتعش .. أهديته أنا  
لل بشرية دون قصد طبعاً ..

ترى هل يجدونه ؟ هل يقتلونه ؟

لا أعرف ولا أريد أن أعرف ..

ما يهمنى فى القصة كلها هو أننى تحررت من  
الذباب الذى كان يطاردنى ، وأننى متعب وبحاجة



ماسة إلى العودة إلى دارى .. دارى البعيدة عن كل  
هذا ، وإن كنت ما زلت قلقاً بصدد أجدادى .. من  
كانوا وماذا فعلوا فى حياتهم بالضبط ؟ لو عرف  
( مختار ) أنه دفع ثمن خطأ جد جده الذى مات فى  
معبد بالمكسيك لاتهمنى بالجنون ..

ترى أية أخطاء على كل منا أن يدفع ثمنها يوماً ما ؟

★ ★ ★

كانت هناك رحلة إلى أوروبا قبل أن أعود إلى  
مصر ..

وكانت المقبرة تنتظرنى .. هناك مقابر ومقابر ..  
لكن ما سأحكى لكم عنه أنا ( رفعت إسماعيل ) هو  
مقبرة .. وعندما أقول مقبرة فأنا ..

ولكن هذه قصة أخرى ...

رفعت إسماعيل

القاهرة

# روايات مصرية الحبيب

## ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط

الغموض والرعب والإثارة

● صدر من هذه السلسلة ●

- |                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| 29 - أسطورة الجاثوم .         | 1 - أسطورة مصاص الدماء .     |
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . | 2 - أسطورة النداهة .         |
| 31 - أسطورتها .               | 3 - أسطورة وحش البحيرة .     |
| 32 - أسطورة رفعت .            | 4 - أسطورة أكل البشر .       |
| 33 - أسطورة أرض المغول .      | 5 - أسطورة الموتى الأحياء .  |
| 34 - أسطورة الشاحبين .        | 6 - أسطورة رأس ميدوسا .      |
| 35 - أسطورة دماء دراكيولا .   | 7 - أسطورة حارس الكهف .      |
| 36 - أسطورة الفصيلة السادسة . | 8 - أسطورة أرض أخرى .        |
| 37 - أسطورة الدمية .          | 9 - أسطورة لعنة الفرعون .    |
| 38 - أسطورة النصف الآخر .     | 10 - أسطورة حلقة الرعب .     |
| 39 - أسطورة التوءميين .       | 11 - أسطورة الكاهن الأخير .  |
| 40 - وراء الباب المغلق .      | 12 - أسطورة البيت .          |
| 41 - أسطورة فراتكنشتاين .     | 13 - أسطورة اللهب الأزرق .   |
| 42 - أسطورة الكلمات السبع .   | 14 - أسطورة رجل الثلوج .     |
| 43 - أسطورة تختلف .           | 15 - أسطورة الثبات .         |
| 44 - أسطورة رجل بكين .        | 16 - أسطورة التافاراي .      |
| 45 - أسطورة بيت الأفاعي .     | 17 - أسطورة حسناء المقبرة .  |
| 46 - أسطورة طفل آخر .         | 18 - أسطورة الفرياء .        |
| 47 - المنزل رقم (٥) .         | 19 - أسطورة بو .             |
| 48 - المومياء .               | 20 - حكايات التاروت .        |
| 49 - أسطورة العشيرة .         | 21 - أسطورة عدو الشمس .      |
| 50 - في جانب النجوم .         | 22 - أسطورة المينوتور .      |
| 51 - أسطورة الرقم المثلثون .  | 23 - أسطورة رعب المستنقعات . |
| 52 - أسطورة مملعة .           | 24 - أسطورة إيجور .          |
| 53 - أسطورة النبوءة .         | 25 - أسطورة الجنرال العائد . |
| 54 - أسطورة العراف .          | 26 - أسطورة المواجهة .       |
| 55 - أسطورة ( ##099 ) .       | 27 - أسطورتنا .              |
| 56 - أسطورة ملك الذباب .      | 28 - أسطورة آخر الليل .      |

رقم الإيداع : ٧٠٠٧٣٧/٧٠٠٢

الترقيم الدولي : ٧ - ٨٦٣ - ٢٦٦ - ٩٧٧